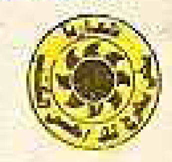




إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)



لعبة الإرهاب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ انفجار فى (باريس) ..

ثلاث دقائق فقط ، ويصل مترو أنفاق (باريس) إلى محطته الرئيسية ..

هذا ما أعلنته تلك الساعة المثبتة داخل المحطة ، والتى تطلع إليها فى هدوء ، ذلك الرجل الذى يقف على رصيف المحطة الرئيسية ، ويحمل فى يده كيسا ورقيا ، يحوى عددا من شطائر (الهامبورجر) ، قبل أن يلتقط من الكيس شطيرة ، ليقضم منها قطعة صغيرة ، ويلوكها فى فمه على نحو يوحى بأن شهيته ليست على ما يرام ، أو بأنه يأكل كما لو كان يؤدى عملا سخيفا ..

ولم يلبث الرجل أن أعاد ما تبقى من الشطيرة إلى الكيس الورق ، وألقاه فى سلة المهملات المجاورة له ، ثم تأهب لمغادرة المحطة ، فى حين وقف أحد المتشردين على مقربة منه ، يراقبه وقد سال لعابه ، وكأنما أهاجت رؤية الشطائر ذلك الجوع الساكن فى أمعائه .. ولم يكد يلمح الراكب وهو يدير ظهره لسلة

المهملات ، حتى أسرع إليها ، وانحنى يلتقط الكيس الورق فى لهفة .. ولكنه لم يكد يدسّ كفّه داخله ، حتى اصطدمت أصابعه بجسم صلب ، فالتقطه ، وأخرجه فى تعجُّب .. ولكنه لم يكد يراه ، ويتعرَّفه ، حتى ارتسمت أمارات الذُّعر والفزع فى ملامحه ، ونسيت معدته ذلك الجوع الذى ينهشها منذ مساء اليوم السابق ، وألقى الجسم الصلب بعيدًا فى رعب ، وهو يصرخ :

— قنبلة .. قنبلة ..

كان الانفعال الأوَّل ، الذى أثارته صرخته هو الدهشة ، التى لم تلبث أن تحوَّلت إلى همهمات مختلطة ، مع تحوُّل أنظار كل من ينتظرون قدوم المترو إلى الرجل ، ثم إلى الجسم الصلب ، الذى ألقى به على رصيف المحطة .. ثم اتسعت العيون ، وارتجفت القلوب ، وتحوَّلت الهمهمات إلى صراخ وصياح ..

وانطلق الجميع فجأة يتدافعون ، ويهرولون ، ويتزاحمون ، فى محاولة لصعود السَّلالم التى تقود إلى الخارج ، وقد شملهم جميعًا رُعب هائل ..

والمترو يقترب ..

أما ذلك الراكب ، الذى ألقى الكيس فى سلَّة المهملات ،

فقد سمَّرته صرخة المتشرِّد لحظة ، وقد أدهشه أن يكشف الأمر على هذا النحو ، وهذه السرعة ، ثم لم يلبث أن اندفع يحاول الفرار ، إلا أنه وجد نفسه وسط خِضَمّ من البشر ، يسعى كل فرد فيه للهدف نفسه ، ورأى المتشرد وهو يشير إليه ، ويصرخ فى وجه الشُرطى الذى هرع إليه :

— ها هوذا الرجل .. الذى وضع القنبلة .

انتزع الشُرطى مسدَّسه ، وهو يصرخ فى صرامة :

— قف وإلَّا ....

ولم يكن هناك معنى لكلمة (وإلَّا) ، فقد كانت تلك الجموع المتصارعة ، المتقاتلة من أجل الفرار ، تمنع الشُرطى من إطلاق رصاصة واحدة ، ولقد أدرك الرجل ذلك ، فشقَّ طريقه بين الجموع فى عنف وقسوة ، حتى وصل إلى المخرج العلوى للمحطة ..

وأسرع الشُرطى يتصل بزملائه خارج المحطة ، بواسطة جهازه اللاَّسلكى الخاص ، وأدلى إليهم بأوصاف الرجل ، وطلب منهم إلقاء القبض عليه ، فى حين انقسم رجال الشُرطة داخل المحطة قسمين .. قسم انطلق يحاول إبعاد القنبلة ، وآخر يحصر اهتمامه فى تنظيم خروج الركَّاب ..

والمترو يقترب ..

وتوقَّف المترو فى المحطة ، وفتحت أبوابه أمام الركَاب ، و ....

وانفجرت القنبلة ..

* * *

كان من المستحيل العثور على ذلك الرجل ، الذى تسبَّب فى كل هذا الخراب والدَّمار ، وسط حالة الذُّعر والفوضى ، التى سادت المكان ، ووسط صراخ الفزع وأنَّات الألم وحشرجات الموت ..

رجل واحد لم يعجز عن الاهتداء إلى الرجل ..

رجل كان يعتلى سطح أحد المبانى القريبة ، وقد أسند إلى كتفه كعب بندقية آلية ، مزوَّدة بمنظار مقرِّب ..

لم يعجز عن الاهتداء إلى الرجل ؛ لأنه كان يعرفه جيِّدًا ..

ولم يكد يلمحه ، وهو يغادر المحطة فى خطوات أقرب إلى العَدْو ، حتى صوَّب بندقيته إليه فى هدوء وإحكام ، وأطلق منها ثلاث رصاصات ..

وسقط الرجل جثة هامدة وسط الجموع المذعورة ، وزاد مصرعه من الفوضى والاضطراب والفزع ، وتناثرت دماؤه على

ثياب المحيطين به .. وبذل رجال الشُّرطة أقصى جهدهم للسيطرة على الموقف ، وإفساح الطريق أمام سيارات الإسعاف والإطفاء ، على حين اختفى ذلك الشخص ، الذى أطلق الرصاصات ، كأنما قد تبخَّر ..

ووسط ذلك الكابوس المروِّع من الدمار ، والصراخ والفزع ، والدماء ، قفز سؤالان واضحان فى كل الأذهان ..

من فعل كل هذا ؟..

ولماذا ؟..

* * *



٢ ـ حوادث ملفَّقة ..

استلقى (ممدوح) على سريره ، داخل عربة النوم الخاصة ، فى القطار القادم من (أسوان) ، والمتجه إلى (القاهرة) ، وهو يعلم جيِّدًا أن ذلك الاستدعاء العاجل ، الذى تلقَّاه من (القاهرة) ، والذى جعله يتخلَّى عن إجازته ، تحت شمس (أسوان) الدافئة ، لابدَّ أن ينطوى على مهمة جديدة ، لا يمكنه أن يخمِّن طبيعتها ، وإن لم يخامره أدنى شك فى أنها ستحوى العديد من المخاطر والمغامرات ..

قطع استرساله فى أفكاره صوت طرقات على باب عربته ، جعلته ينهض من فراشه ، ويقترب من الباب ، قائلًا :

ـ من ؟

ـ خدمة القطار يا سيِّدى .

فتح (ممدوح) الباب فى هدوء ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى هوت على فكِّه لكمة قوية كالمطرقة . فتراجع مترنِّحًا ، على حين اندفع رجل أسمر البشرة ، ضخم البنيَّة ، مجعَّد الشعر إلى

كابينته ، وهو يحيط أصابعه بقبضة حديدية ، جعلت (ممدوح) يدرك سرّ قسوة اللكمة وقوتها .. وقبل أن يستعد (ممدوح) لصدِّ هذا الهجوم ، عاجله الرجل بلكمة أخرى طرحته أرضًا ، وتألَّقت فى عينيه نظرة تحمل كل قسوته وبغضه ، وهو يقول فى صوت حاد النَّبرات :

ـ ها نحن أُولاء قد التقينا ثانيةً يا سيادة المقدَّم .. هل تذكر الأخوين (كانيبال) ؟

أعاد الاسم إلى (ممدوح) ذكرى قديمة .. فهو يذكر كيف جاء الأخوان (كانيبال) إلى (مصر) ، فى العام الماضى ، كسائحين ، ثم كشفت التحرِّيات أنهما عميلان لأحد أجهزة المخابرات المعادية ، ومهمتهما هى اغتيال السفير الأثيوبى .. ويذكر كيف نجح هو فى إلقاء القبض على أحدهما فى كمين مُحْكم ، أعدَّته إدارة العمليات الخاصة ، على حين نجح الآخر فى الفرار .. وكان الآخر هو نفس الشخص الذى يقف أمامه الآن ، والذى لم ينس أن (ممدوح) هو السبب فى إفساد الخطَّط ، وإلقاء شقيقه فى السجن ، وجاء ليصفِّى حسابه معه ..

واستلَّ الرجل من جيبه مدية ذات نصل حاد ، واندفع نحو (ممدوح) ، محاولًا طعنه بها .. إلَّا أن (ممدوح) ـ الذى

استردّ وعيه فى سرعة ــ ارتكز براحته على أرض الكابينة ، وقفزت قدماه لتركلا ساق الرجل فى قوة ، فاختلّ توازن الرجل ، وسقط على ظهره ، فقفز (ممدوح) ليجثم على صدره ، ويقبض على معصمه فى قوة ، وهو يدفع كفّه لترتطم بأرض الكابينة ، حتى تنفرج أصابعه ، وتفلت المدية من قبضته ، فى حين دفع الرجل أظفاره فى وجه (ممدوح) ، وهو يقاتله فى شراسة ..

وأخيرًا .. أجبر (ممدوح) الرجل على ترك المدية ، إلا أن أظفاره جرحت وجهه ، وأسالت بعض الدم على عينيه .. ولم يكد يحاول إزاحة الدماء التى تمنعه الرؤية حتى لكمه الرجل لكمة قوية ، ألقته من فوق ظهره ، ثم قفز الرجل واقفًا ، والتقط مديته فى سرعة ، وعاد ينقضّ بها على (ممدوح) ، الذى مال جانبًا فى مرونة وسرعة ، وترك خصمه يواصل اندفاعه ، وقد اختلّ توازنه .. وعاونه (ممدوح) على مواصلة الاندفاع بلكمة على مؤخرة رأسه ، جعلت الرجل يصطدم بنافذة القطار ، ويهشّمها .. وهنا دفع (ممدوح) رأس الرجل داخل الفجوة ، التى تخلّفت من تهشّم الزجاج ، حتى لامست حواف الزجاج المهشم الحادّة عنق الرجل ، ثم أسرع يجذب الحبل المدلّى من

النافذة ، ويقيّد به معصمى خصمه خلف ظهره ، وهو يقول فى مزيج من السخرية والصرامة :

ــ والآن أيها الأخ (كانيبال) كن عاقلًا ، حتى أنتهى من تقييد معصمك ، وتذكّر أن أى محاولة حمقاء منك للتملّص ، لن تسفر إلّا عن قطع عنقك ، داخل هذه المقصلة الزجاجية الأنيقة ، وثق أننى سأخرجك من مأزقك هذا ، إذا ما أثبتّ لى أنك طفل عاقل .

زمجر الرجل فى كراهية وغضب ، إلّا أنه استسلم لـ (ممدوح) ، حتى انتهى من تقييد معصمه ، ثم جلس (ممدوح) فى هدوء يمسح الدماء عن وجهه بمنديله ، وضغط جرس الخدمة إلى جوار فراشه ، وانتظر فى هدوء قدوم عامل خدمة كبائن النوم ، الذى لم يكد يلج الكابينة ، ويتطلّع إلى الفوضى التى تسودها ، وإلى مشهد الرجل المقيّد ، وجراح (ممدوح) ، حتى وقف مبهوتًا مضطربًا ، وامتقع وجهه فى شدة ، فى حين قال (ممدوح) فى هدوء ، وكأنما الأمر كله لا يعنيه :

ــ لا تقف مفغور الفاه هكذا يا رجل .. إنه مجرّد حادث بسيط .. أبلغ رجال أمن القطار ؛ لتسلّم هذا الرجل ..

ولا تنس إحضار حقيبة الإسعافات الأوَّلية .. هيَّا .. قلت لك إنه مجرَّد حادث بسيط .

* * *

تطلَّع اللواء (مراد) إلى وجه (ممدوح) فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ ما الذى أصاب وجهك بكل هذه الجروح ؟

ممدوح :

ــ إنها خدوش بسيطة يا سيِّدى ، ويمكن إضافتها إلى سجل متاعب المهنة .. فلقد التقيت فى أثناء عودتى من (أسوان) بواحد ممن يرغبون فى تصفية حساباتهم القديمة معى ، وأعتقد أن رصيد حساباتى معه قد تضاعف ، بعد أن ألقيت القبض عليه أيضًا .

ابتسم اللواء (مراد) ، وهو يقول :

ــ أتقصد الأخ (كانيبال) ؟.. لقد بلغنى نبأ إلقاء القبض عليه منذ ساعتين ، ولقد أمرت بتسليمه إلى النيابة ، بعد أن ننتهى من التحقيق معه ، وهذا يعنى إغلاق ملف الأخوين (كانيبال) ، نهائيًّا .. ولكن دعنا من هذا ، فالأمر الذى استدعيتك من أجله أخطر وأهم من هذه القضية القديمة .

ممدوح :

ــ كلِّى آذان صاغية يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ــ لقد انتشرت عمليَّات الإرهاب فى (أوربا) فى الآونة الأخيرة ، وخاصة فى (فرنسا) ، التى تربطنا بحكومتها وشعبها صلات وثيقة وصداقة متينة .. وتتم هذه العمليات الإرهابيَّة بواسطة جماعات مجهولة الهويَّة ، ولكنها تلجأ إلى استخدام أسماء تنظيمات عربية ومصرية ، وكأنما تحاول إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب ، والمصريين على وجه الخصوص .. ولقد أدى ذلك إلى تشويه صورتنا أمام الغرب وشعوبه ، وإظهارنا بمظهر القتلة السفَّاحين .. وأثار ذلك بدوره موجة من الاستياء العام فى (أوربا) ضد العرب ، وبدأت الشعوب تضغط على حكوماتها لقطع علاقاتها بنا .. وأعتقد أن هذا هو هدف هذه العمليات الإرهابية .

ممدوح :

ــ ولكن ألا يحتمل أن تكون هناك بعض التنظيمات العربية المتطرِّفة ، خلف هذه العمليات ؟

اللواء (مراد) :

— هذه التنظيمات التى تتحدَّث عنها لا تعدُو تنظيمًا أو اثنين ، وعلى الرغم من تطرُّف أفكارها ، إلَّا أن أهدافها محدودة ، وهى تعلن عنها فى وضوح ، تمامًا كما تفعل المنظَّمات الأوربية المتطرِّفة .. ثم إنه لدينا معلومات تؤكِّد وجود جهات خارجية ، تغذِّى ذلك التطرُّف .. أمَّا بالنسبة لتلك التنظيمات الإرهابية المجهولة ، فهى تمارس أعمالها بلا هدف أو قضية معروفة ، ولمجرَّد القتل والتدمير وإشاعة الفوضى .. ولعل أبرز مثال لهذا هو ذلك الانفجار ، الذى حدث فى المحطَّة الرئيسية لمترو أنفاق (باريس) ، فى الأسبوع الماضى ، حيث كان هناك قنَّاص يتربَّص بالمسئول عن الحادث ، وقام باغتياله دون سبب واضح .. وعندما قام رجال الأمن الفرنسيون بتفتيش جثة الإرهابى ، عثروا معه على أوراق تشير إلى تبعيته لتنظيم إرهابى مجهول ، يحمل أحد الأسماء العربية ، ويعمل بتوجيه وتمويل من مستويات عليا هنا فى مصر ، وهذه الأوراق زائفة ومدسوسة بالطبع .

ممدوح :

— إذن فقد تم قتل ذلك الإرهابىّ بهدف إلصاق التهمة بـ (مصر) فحسب .

اللواء (مراد) :

— بالضبط .. وهذا يعنى أن الإرهابىّ ، الذى ارتكب عملية المترو ، كان بدوره ضحيَّة لمخطَّط أكبر منه ، يتجاوز هدفه مجرَّد تفجير قنبلة داخل محطة مترو .. والمسئولون الفرنسيون يصدِّقون إنكارنا لأيَّة صلة تربطنا بحوادث الإرهاب ، أو أنهم يتظاهرون بذلك ، على الرغم من كل محاولات إلصاق التُّهمة بنا ، خاصَّةً أن كل الإرهابيين ، الذين تمّ اغتيالهم بنفس الوسيلة ، يكونون بلا هويَّة ، تعيِّن جنسيتهم .. ، ولكن إلى متى يظل المسئولون على تصديقنا ؟ وحتى لو استمروا على ذلك ، فكيف يمكنهم إقناع رجل الشارع الفرنسى بهذا ، وسط موجة السخط والاستياء والكراهية لكل ما هو عربى ، بعد العشرات من حوادث الإرهاب ، والاتصالات المشبوهة ، التى تم إعدادها والترويج لها فى براعة وشيطانية .. إن هذا يسىء إلى صورتنا على نحو بالغ يا (ممدوح) ، ويلحق أضرارًا بالغة بعلاقتنا فى (أوربا) والغرب ؛ لذا فمن المحتَّم أن نصل إلى المسئول عن هذه الحوادث ، وأن نقيم الدليل على أنه الفاعل الأصلى .. فبهذا وحده تظهر براءتنا وتتضح صورتنا الحقيقية ، والحضارية أمام العالم بأسره .

ممدوح :

ـــ وهل لدى سيادتك أيَّة معلومات عن الجهـــات أو الأشخاص ، التى يحتمل أن تكون خلف هذه الأحداث ؟

اللواء (مراد) :

ـــ لا .. ولكن لدينا بعض الاستنتاجات .

ممدوح :

ـــ ماهى ؟

اللواء (مراد) :

ـــ القاعدة الأساسية تقول : إذا أردت الـــوصول إلى مرتكب جريمة ما ، فابحث عمَّن يستفيد منها ، وأعتقد أن المستفيد هنا واضح .

قال (ممدوح) فى لهجة سريعة حاسمة :

ـــ (أسترتان) (*) مخابرات (استرتان) المعادية .. أليس كذلك ؟

اللواء (مراد) :

(*) استرتان : دولة من خيال المؤلف ، لا علاقة لها بالواقع ، ورد ذكرها فى قصص سابقة ، مثل (الغاز القاتل) ، (العملية الكبرى) .. المغامرتين (٢٠) و (٢١) .

ـــ بلَى .. إن (أسترتان) هى الدولة الوحيدة ، التى يرُوق لها دومًا تشويه صورتنا فى نظر العالم كله .. ومما يزيد من شكوكنا حول هذه الدولة ، وجود (بجوان) جنـــرال المخابـــرات الأسترتانية ، وصاحب التـــاريخ الإرهـــابى السابـــق ، فى (باريس) ، وتشير ملفاتنا إلى أنه خبير فى التنظيمات السِّرِّيَّة .. ولقد قيل إنه قد تقاعد ، وأصبح من كبار رجال الأعمال فى (فرنسا) .. ولكننا نشكّ فى هذا ، ونعتقد أنه مازال يمارس عمله لحســاب المخابرات الأسترتانية ، تحت ستار رجال الأعمال ، ونعتقد أنه المحرِّك الرئيسى لكل هذا ، ولو أن استنتاجنا صحيح ، فسيكون علينا أن نقيم الدليل عليه ، ونعلن للعالم أجمع .

ممدوح :

ـــ ومتى أذهب إلى (باريس) يا سيِّدى ؟

أجابه اللواء (مراد) فى اقتضاب وحزم :

ـــ الآن .

* * *

٣ ــ عجلة الرُّوليت(*) ..

كانت الساعة تعلن تمام التاسعة مساءً ، بتوقيت (باريس) ، حينما دلف (ممدوح) بملابس السهرة الكاملة الأنيقة ، إلى قاعة كازينو (أضواء باريس) ، ودار ببصره على موائد القمار الخضراء ، التى تهافت عليها كبار الأثرياء والمقامرين ، والباحثون عن الربح السريع ، لأسباب مادية أو معنوية ، وقد استغرقوا جميعًا فى ممارسة تلك الألعاب المحرَّمة ، وإحصاء أرباحهم الضئيلة ، أو خسائرهم الفادحة ، حتى استقرَّ بصره على أحد الأشخاص ، الذين يلتفُّون حول مائدة (الروليت) .. وكانت ملامح الرجل العصبيَّة المتجهمة تشفّ عن أنه يعانى الخسارة ، فى حين حاولت الشقراء الحسناء ، التى تقف إلى جواره ، تخفيف وقع الأمر عليه ..

* الروليت : واحدة من ألعاب المقامرة ، تعتمد على وجود مائدة ، مقسَّمة إلى عدة أرقام وألوان ، وفى نهايتها عجلة دوَّارة ، تحمل نفس الأرقام والألوان ، وتدور العجلة لتتقافز فوقها كرة صغيرة ، وعندما تستقر العجلة ، تتوقف الكرة فوق رقم ما ، فيربح الشخص الذى راهن بنقوده على الرقم ، أو اللون ، المماثل فوق المائدة .

واقترب (ممدوح) من مائدة (الروليت) ، ووقف فى مواجهة الرجل والفتاة تمامًا ، عَبْر المائدة الخضراء ، ولم تكد نظراته تلتقى بنظرات الفتاة ، حتى منحها ابتسامة جذَّابة ، استقبلتها الفتاة فى لامبالاة فى بادئ الأمر ، وأشاحت بعينيها عنه ، إلا أنها لم تلبث أن عادت تتطلَّع إليه ، ونظراتها توحى بالاهتمام هذه المرَّة .. فغمز لها (ممدوح) بطرف عينيه ، وهو يحافظ على ابتسامته الجذَّابة ، فلم يكن من الفتاة إلَّا أن بادلته الابتسام ، دون أن تحاول إخفاء ذلك عن الرجل الواقف إلى جوارها ، والذى حَدَج (ممدوح) بنظرة عدائية مخيفة ، بدت ــ على الرغم من قسوتها ــ ملائمة لقامته الطويلة ، وملامحه الحادَّة ، وعينيه الغائرتين ، وعظام وجهه البارزة ، وفكّه العريضة ، وإن تناقضت مع مظهره ، الذى يشفّ عن ثراء فاحش .

وتجاهل (ممدوح) تلك النظرة العدائية وانتقل إلى جوار الشقراء الحسناء ، وهمس لها فى هدوء :

ــ اسمحى لى بإبداء إعجابى بذلك السوار الماسى ، الذى يلتف حول معصمك .

ضحكت الفتاة ، وهى تقول فى صوت يشفّ عن الغبطة :

— أأنت من هواة المجوهرات ؟

ممدوح :

— يمكنك اعتبارى خبيرًا بها .

بدا الاهتمام واضحًا فى عينيها ، وهى تقول :

— يسعدنى أن ألتقى بخبير فى المجوهرات .

ممدوح :

— إن خبرتى تؤكِّد لى أن جمالك الساحر يستحق ماهو أثمن من ذلك السّوار . على الرغم من غُلُوّ ثمنه وأناقته .

ضحكت . وهى تقول فى دلال :

— إنه يساوى ثلثمائة ألف فرنك على الأقل .

ممدوح :

— وماذا يعنى هذا ؟.. هل تروق لك رؤية سوار يحوى عشرين فصًّا من الماس النادر ، ويبلغ ثمنه سبعمائة ألف فرنك على الأقل .

هتفت فى شغف :

— هل تملك مثل هذا السّوار حقًّا ؟

ممدوح :

— إنه فى سيارتى فى الخارج ، ولو أنك رافقتنى إليها فـ ....

ارتسم الأسف على وجهها ، وهى تختلس النظر إلى الرجل الواقف إلى جوارها ، قائلة :

— إن ذلك يروق لى ، ولكن ....

ممدوح :

— ولكن ماذا ؟.. أهو صديقك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، فابتسم قائلًا فى سخرية :

— عجبًا !!.. كيف يمكن أن تصادق جميلة الجميلات (دراكيولا) ؟

أطلقت الفتاة ضحكة مرحة مكتومة ، وقد راق لها تعليقه ، فى حين استطرد هو :

— لِمَ لا نستأذنه ؟.. إن الأمر لن يستغرق أكثر من نصف الساعة .. إلّا إذا أردت التطلّع إلى السّوار فترة أطول بالطبع .

تردَّدت الفتاة لحظة ، ثم غلبها حماسها ، وأسرتها لهفتها ، فالتفتت إلى رفيقها ، الذى بدا واضح الغضب والضّيق ، وهو يوزّع انتباهه بين ما يجرى على مائدة (الروليت) ، وذلك الحديث الجانبى ، الذى يدور بين الشقراء و (ممدوح) .. وهمست الفتاة فى أذنه ببضع كلمات غير مسموعة ، إلا أنه تحوّل إليها ، وقال فى حِدّة وشراسة :

ــ لا .. وإيَاكِ أن تُبَارِحِى هذه المائدة ، قبل أن أفرغ من اللُعبة .

عقدت الفتاة حاجبيها فى عنادٍ ، وهى تقول فى تحدٍّ :

ــ من تظن نفسك ؟ سأغادر المكان فورًا دون إذن منك .

ثم تأبطت ذراع (ممدوح) فى حركة عصبيَّة ، وسارت إلى جواره نحو باب الكازينو ، فى حين حَدَج الرجل (ممدوح) بنظرة غاضبة قاسية ، استقبلها (ممدوح) بابتسامة ساخرة ، وهو يصحب الشقراء إلى الخارج .

وبقى الرجل صامتًا لحظة ، وقد امتلأت ملامحه بالبغض والكراهية ، ثم انحنى يضع واحدة من فيشات اللُعبة فوق المائدة ، وهو يشير بعينيه إشارة خفيَّة ، إلى رجلين يقفان أمامه عَبْر المائدة ، فغادر الرجلان مكانيهما ، واتجها نحو الباب ، ليلحقا بـ (ممدوح) والفتاة ، فى حين عاد صديقها يتطلَّع إلى مائدة الروليت ، باهتمام ، وقد انحصر انتباهه كله فى ربحه أو خسارته ..

ولقد خسر ..

* * *

جلست الشقراء إلى جوار (ممدوح) فى سيارته تتطلّع فى لهفة إلى العُلبة المخملية السوداء ، التى يمسك بها ، وهو يقول فى هدوء :

ــ ها هى ذى تحفتى .

شهقت الفتاة فى انبهار ، حينما فتح العلبة ، وتألَّقت ماسات السّوار أمام عينيها ، وهتفت :

ــ غير معقول .. إنه سوار رائع .

التقطت السوار من علبته المخملية السوداء ، وقلَّبته بين أصابعها فى انبهار ، فى حين قال (ممدوح) :

ــ ألم أقل لك إنه ....؟

وفجأة .. وقبل أن يتم عبارته ، امتدَّت يد من نافذة السيارة ، وانتزعت السوار من بين أصابع الفتاة فى قسوة ، ورأى (ممدوح) رجلين يحيطان بسيارته من الجانبين ، وسمع أولهما ، الذى انتزع السوار من الفتاة ، والذى يبدو مفتول العضلات ، على عكس رفيقه البدين الأصلع ، يقول :

ــ يا للسخافة !!.. إنه سوار زائف !.. لقد كان ذلك النصَّاب يخدعك بقطع من الزجاج الملَّون .

التفتت الشقراء إلى (ممدوح) فى دهشة ، وهى تستنكر ما تسمعه ، ولكن الشاب المفتول العضلات فتح باب السيارة فى حركة عنيفة ، وأشار إليها إشارة صارمة لتغادرها ، ففعلت فى بطء واستسلام ، وقد زايلتها دهشتها ، وحلّت محلها خيبة أمل واضحة ، ثم أغلق الشاب الباب فى عنف ، وقال لـ (ممدوح) فى خشونة :

ـ من حسن حظك أننا سنسمح لك بالانصراف ، ولو أردت استغلال هذه الفرصة النادرة ، فلتنطلق بأقصى سرعة ، دون أن تلتفت خلفك ، حرصًا على حياتك .

قال (ممدوح) فى هدوء :

ـ هل تسمح بأن تعيد إلىّ السوار ؟

تألّقت فى عينى الشاب نظرة ساخرة ، وألقى السوار أرضًا فى عنف ، وأسرع زميله يطؤه بقدمه ، وهو يتطلّع إلى (ممدوح) فى سخرية .. فقلب (ممدوح) شفتيه ، وتنهّد فى استسلام ، ثم تظاهر بإدارة محرّك سيارته ..

وفجأة .. دفع (ممدوح) باب السيارة الأيمن فى وجه البدين ، الذى تأوّه ألمًا من عنف الضربة ، وقبل أن يعتدل

جسده ، عاجله (ممدوح) بركلة قوية أصابت وجهه ، وأسالت الدم من فمه ..

واندفع الشاب المفتول العضلات نحو (ممدوح) ولكمه لكمة قوية ، جعلت ظهره يصطدم بالسيارة ، وحاول أن ينهال على وجهه بأخرى ، ولكن (ممدوح) أحنى رأسه إلى أسفل فى سرعة ، متفاديًا اللّكمة ، ولكم خصمه بكل مايملك من قوة فى أمعائه ، ثم أعقب ذلك بقفزة قوية ؛ ليركل الشاب فى وجهه ، مستخدمًا واحدة من حركات رياضة (الكاراتيه) ..

وترنّح الشاب ، وهو يتراجع من أثر الركلة القوية ، ولكن زميله البدين انقضّ على (ممدوح) من الخلف ، وأمسك ذراعيه ليشلّ حركته ، فاندفع الشاب نحوه مرّة أخرى ، وانهال على وجهه بلكمات متتالية قوية ..

وصرخت الفتاة فى فزع ، ورأى (ممدوح) ، وهو يقاوم الغيبوبة التى أحاطت به ، ذلك الرجل الحادّ الملامح ، والذى كان يرافق الفتاة فى الكازينو ، يتطلّع إليه فى سخرية وشماتة ، قبل أن يتحوّل إلى الفتاة ، قائلًا فى استخفاف :



واندفع الشاب المفتول العضلات نحو (ممدوح) ولكمه لكمة قوية ، جعلت ظهره يصطدم بالسيارة ..

— هل تؤلمك رؤية هذا النصّاب ، وهو يلقَى جزاءه ؟

خفضت الفتاة وجهها ، دون أن تنبس ببنتِ شفَة ، فى حين أشار الرجل إلى رجليه ، قائلًا :

— هذا يكفى .. إن صديقتى الرقيقة لا تحتمل رؤية العنف .. انقلاه إلى سيارتى ..

وكان هذا آخر ما سمعه (ممدوح) ، فقد فقد الوعى ..

* * *



٤ ـ لُعبة الخداع ..

انتفض (ممدوح) ، وأفاق من غيبوبته ، عندما ألقى شخص ما دورقًا من المياه فى وجهه ، وفتح عينيه ليجد نفسه ملقى على أرضية حجرة عارية من الأثاث ، ما عدا مقعدًا واحدًا ، جلس فوقه ذلك الرجل ، الذى كان يرافق الفتاة فى الكازينو ، وقد وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وأمسك فى يده عصا من الآبنوس ، وبدت فى عينيه نفس النظرة المفعمة بالكراهية ، والتى كانت آخر ما رآه (ممدوح) قبل أن يفقد وعيه .

وكان (ممدوح) مقيَّد المعصمين خلف ظهره ، على حين أحاط به الرجلان اللذان تصارع معهما ، وبرفقتهما شخص آخر ، وابتسم صديق الفتاة ابتسامة مخيفة ، وقال وهو يضرب العصا فى رفق على راحته :

ـ لقد ارتكبت خطأين فاحشين أيها الشاب ، استحققت من أجلهما هذا الدرس الصغير ، فقد سمحت لنفسك أن تتدخَّل

فى شئونى ، وتحاول خداع صديقتى ، ثم إنك لم تحاول استغلال الفرصة التى منحك إيَّاها رجالى ، وتفرّ بعد كشف أمرك .

وعلى الرغم من الصداع الشديد الذى يشعر به (ممدوح) ، إلّا أنه حافظ على ثباته ، ورسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ لو أنى أعلم مدى غيرتك على صديقتك الشقراء ؛ لابتعدت عنها منذ البداية ، ولكن ما حيلتى إذا كانت هى ترى أننى أمتلك بعض الجاذبية ، التى يفتقدها وجهك القبيح .

استشاط الرجل غضبًا وحَنَقًا ، واحتقن وجهه ، وهو يحرِّك مقبض عصاه الآبنوسية ، فبرز من طرفها نصل حادّ كالرمح ، دفعة ليلامس عنق (ممدوح) ، قائلًا فى لهجة ساخطة :

ـ إذا أردت أن تتظاهر بالمرح والشجاعة ، فاعلم أن جاذبيتك هذه لن تفيدك شيئًا ، حينما أفصل رأسك عن جسدك .

وازدادت عيناه الغائرتان ضيقًا ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ دَعْنَا نعلم أولًا من أنت .. وما الدور الذى تحاول أن تلعبه بالضبط .. وثِقْ أننى لن أسمح لك بالسخرية هذه المرَّة .

ممدوح :

— عجبًا !!.. ألم تعرف بعد من أنا ؟.. يا إلٰهى !!.. كنت أظنك أكثر ذكاءً !!.. إننى أشهر محتال يونانى فى (أوربا) كلها ، واسمى هو (جلسياس) .. ولقد أردت استغلال تأثيرى على صديقتك ؛ لأحصل على السوّار الذى كانت تتحلّى به ، فى مقابل ذلك السوّار الزجاجى ، الذى هشّمه رجالك .

غرس الرجل طرف السِّن المدبَّبة فى عنق (ممدوح) ، وهو يقول فى صرامة :

— أأنت واثق من أن هذه هى كل الحقيقة ؟

ممدوح :

— لاشك أنكم قد فتشتم جيوبى ، فى أثناء فقدانى الوعى ، وعلمتم من أنا ، وما هدفى .. وعلى الرغم مما نالنى من أذى على أيدى رجالك ، فإننى سأكون ممتنًّا لك لو اكتفيت بهذا ، ولم تبلغ رجال الشُرطة الفرنسية .

أدار الرجل مقبض عصاه مرّة أخرى ، ليختفى النصل الحاد داخلها ، وهو يقول فى برود :

— مقابل ماذا ؟

ممدوح :

— يمكننى أن أمنحك شيكات سياحيّة تساوى ألفين من الدولارات .

ضحك الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

— وهل يمكن أن أثق فى نصّاب ؟

تصنّع (ممدوح) البراءة ، وهو يقول :

— ولكنها شيكات حقيقية !

أدار الرجل عصاه بين يديه ، وهو يقول :

— هل تعرف من أنا ؟

ممدوح :

— لم أهتم بذلك فى الواقع .

الرجل :

— هذا دليل آخر على أنك لست بالبراعة التى تتصوّرها .. فقد كان ينبغى عليك ، ما دمت محترفًا ، أن تعرف الكثير عن الضحية ، قبل أن تسعى لاصطيادها .

ممدوح :

— ولكننى كنت أسعى خلف السوّار ، الذى تحلّى به رفيقتك معصمها ، لا خلفك أنت .

ابتسم الرجل ابتسامة واسعة ، وهو يقول فى زهو :

— إننى أدعى (بجوان) .. رجل أعمال ، ومليونير .. وذلك المبلغ الذى تعرضه لا يساوى فيما أنفقه قطرة فى بحر ..

ولكننى أهتم بشخصك ، إذ يستهوينى النصابون من أمثالك .. وقد أتغاضى عن تسليمك لرجال الشُّرطة الفرنسية ، مقابل استغلال مواهبك .

ممدوح :

ـــ ماذا تعنى ؟

بجوان :

ـــ نوع من المقامرة ، فالبعض يقامر للربح ، والبعض الآخر لا يبالى بالمادة ، بقدر ما يعنيه ذلك الشعور بالظفر ، وأنا من النوع الآخر ، بل إننى لا أحب الخسارة على الإطلاق ، وأميل دومًا إلى الربح ، مهما كانت الوسائل المتبعة فى ذلك .. ويمكنك القول بأننى أجد فى الخداع لذة خاصة ، لا تقلّ عن لذَّة الربح ، وستكون أنت أداتى لخداع أولئك المقامرين فى كازينو (أضواء باريس) .. فسأعطيك بعض الفيشات الزائفة ، التى تطابق فى شكلها وحجمها فيشات كازينو (أضواء باريس) ، ولكن بلا مقابل مادىّ بالطبع ، وستلعب بهذه الفيشات على مائدة (الروليت) ، وسأكون هناك لمراقبتك ، بشرط أن أحصل على سبعين فى المائة من قيمة الربح .. وسيحتاج منك هذا إلى أن تظهر بمظهر الأثرياء ورجال الأعمال ، وتبدو ثابت

الأعصاب ، شديد الثقة ، خاصةً أننى سأمنحك مائة فيشة من فيشات اللعب ، قيمة الواحدة منها خمسة آلاف فرنك .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى استخفاف :

ـــ ولكن هذا الأمر بسيط للغاية ، لا يحتاج إلى أيَة مواهب خاصة ، ويمكنك أن تفعله بنفسك ، أو تسنده إلى أحد رجالك .

أجابه (بجوان) فى ضجر :

ـــ ليس الأمر بالبساطة التى تتصوَّرها .. فرجالى معروفون فى الكازينو ، وليس من الطبيعى أن يبلغ حدّ مراهناتهم الخمسمائة ألف فرنك .. ثم إن رجل أعمال بارزًا مثلى ، لا يمكنه المخاطرة باستخدام فيشات زائفة ، فكشف أمره يعنى نهايته فى سوق الأعمال .. أما أنت فوجه غير معروف أو مألوف ، ويمكنك أن تتحمَّل المخاطرة فى مقابل الثلاثين فى المائة ، التى ستحصل عليها ، بالإضافة إلى حرّيتك .. ، كما أنه من السهل أن أنكر أيَة صلة لك بى ، إذا ما كشف أمرك .. وعليك أن تلاحظ أن الكازينو مراقب بالكاميرات التليفزيونية ، وممتلئ بالمخبرين الخصوصيين ، الذين يتحرّكون فى سرعة ، حينما يرتابون

فى شخص ما ، ولهذا يحتاج الأمر إلى رجل قوى الأعصاب ، أو محترف مثلك .

صمت (ممدوح) لحظة ، وكأنه يفكَر فى الأمر ، ثم أجاب فى هدوء :

ـــ إننى أقبل .

مطَّ (بجوان) شفتيه ، ثم أشار إلى أحد رجاله ، قائلاً فى هدوء :

ـــ حلّوا وثاقه .

* * *



٥ ـــ تحذير وفزع ..

فُتِح باب جانبى صغير ، فى مكتب (بجوان) الخاص ، ودلف منه رجل قصير القامة ، نحيل الجسد ، أحمر الشعر قصيره ، يضع على عينيه منظارًا داكنًا ، واقترب من (بجوان) ، الذى بدا وكأنه يتوقَّع قدومه ، حتى قال الرجل فى عصبيَّة :

ـــ ما الذى تبغيه من هذه اللُّعبة ؟

أجابه (بجوان) فى هدوء :

ـــ لقد رأيت كل شىء بنفسك ، عَبْر كاميرات التليفزيون .. سأجعل هذا الرجل يشاركنى فى عملية غش ، على مائدة (الروليت) .

ارتجفت شفتا الرجل ، وهو يقول فى عصبيَّة :

ـــ أغبيًّا أصبحت ، أم أنك تتظاهر بالغباء ؟.. كلانا يعلم من هو هذا الرجل ، وما الهدف الذى جاء من أجله إلى (باريس) .

ابتسم (بجوان) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ نعم .. أعلم أنه (ممدوح عبد الوهاب) ، عميل المكتب رقم (١٩) المصرى .. وأنه من أذكى وأمهر العملاء المصريين .. ولقد عرفته فورًا ، على الرغم من تنكُّره ، وشاربه المستعار .. وأعلم أيضًا أنه هنا لكشف الصِّلة التى تربطنى بالحوادث الإرهابية ، التى ننسبها لهم ؛ ولهذا تظاهرت أمامه بأننى رجل غيور ، ثم شريك فى عملية غش ، لأكتسب ثقته واطمئنانه ، وليتصوَّر أنه قد نجح فى خداعى ، كما يريد .

قال ذو الشعر الأحمر فى عصبيَّة :

ــ وما الذى يدعوك إلى هذا ؟.. لِمَ لا تتخلَّص منه فورًا .

أطلق (بجوان) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ أتتَّهمنى إذن بالغباء ؟!.. كيف تريد منِّى أن أتخلَّى عن فرصة ذهبية ، كتلك التى حملها إلينا ذلك العميل المصرى بنفسه ؟

غمغم الرجل فى دهشة بنفسه :

ــ أخبرنى عمَّا يدور فى رأسك .

أشعل (بجوان) غليونه ، وقال فى هدوء :

ــ إنك تتصوَّر مثل هذا الغبىّ أننى سأشاركه لُعبة

(روليت) مغشوشة ، ولكننى سأقف أمامه عشر دقائق على الأكثر ، ثم انصرف بحجة إجراء مكالمة هاتفية ، وسأبلغ الشُّرطة عن وجود شاب مصرى ، جاء لتنفيذ إحدى العمليات الإرهابية ، فى كازينو (أضواء باريس) ، منتحلًا شخصية يونانى يدعى (جلسياس) ، ويتبع أحد المنظمات العربية ، التى تنتحل أسماءها .. ولن أنسى إبلاغهم برقم غرفته فى فندقه ، حتى يمكنهم تفتيشها ، والعثور على أوراقه ، وجواز سفره المصرى ، الذى عثر عليه رجالى ، حينما فتَّشوا حجرته ، فى أثناء وجوده هنا .. وبعدها سأغادر المكان ، وأتركه لمصيره .. هل فهمت يا صديقى (رامون) ؟

حكَّ (رامون) ذقنه ، وهو يغمغم .

ــ وبعد ذلك ؟

ابتسم (بجوان) فى خبث ، قائلًا :

ــ وبينما يكون صديقنا المصرى منهمكًا فى لُعبة (الروليت) ، بالفيشات الزائفة ، ستنفجر القنابل الإليكترونية الصغيرة ، المخفاة ، فى براعة داخل ثلاث منها ، و ... (بوم) .. تحدث فرقعة قوية ، وانفجارًا هائلًا ، ويتحوَّل الكازينو ومن فيه إلى أشلاء متناثرة ، ولن يجد رجال

الشُرطة صعوبة فى معرفة المصرى المسئول عن الانفجار .. ولك أن تتخيَل شعور الحكومة الفرنسية إزاء ذلك ، حينما يعلمون أن المسئول عن الانفجار ضابط مصرى ، يتبع أحد أجهزة الأمن الرسمية ؛ وأنه قد فعل هذا قبل أسبوعين فقط من المباحثات الرسمية بين المصريين والفرنسيين ، بشأن القروض الفرنسية الجديدة لـ (مصر) .

انفرجت أسارير (دامون) ، وتراجع فى مقعده ، وهو يتطلَع إلى (بجوان) فى إعجاب ، قائلًا :

ــ رائع .. خُطَة شيطانية ، لا ينتجها إلا عقل رجل مثلك .. انهم سيتصوَرونها محاولة للضغط والابتزاز من جانب الحكومة المصرية ، وأن المنظمات الإرهابية تعمل بأوامر من حكومات عربية ، وأجهزة أمن مصرية ، لإرغام الحكومة الفرنسية على الخضوع لمطالب خاصة .

ضحك (بجوان) ، قائلًا :

ــ وهكذا تسقط أسطورة الحضارة المصرية ، وتمسُكها بمبادئ السلام ، وإدانة الإرهاب بكافة صوره . وسينقلب الشعب الفرنسى ، بل العالم كله ضدهم .

رامون :

ــ ولكن ألا يحتمل أن هذا الضابط المصرى قد جاء بتنسيق بين الأمن المصرى والفرنسى ؟.. ثم ألا يبدو من غير المنطقى أن يضحِّىَ بحياته لنسف كازينو عادى ؟

بجوان :

ــ يمكنك تجاهل احتمال وجود أى تنسيق بين الأمن المصرى والفرنسى .. فالحكومة الفرنسية لن تسمح بتدخُل الأمن المصرىّ فى عمل يخصّهـا ، ويحدث على أرضهـا.. ثم إن المصريين لا يملكون أيَة أدلة ضدى حتى الآن ، ولن يخاطر الفرنسيون باتهام رجل أعمال له وزنه مثلى ، دون أدلة واضحة .. أما بالنسبة للتضحية بنفسه ، فسيبدو الأمر وكأنه انتحارىّ ، مشبَع بأفكار متطرِّفة أو أن أجهزة الأمن المصرية لم تبلغه بموعد الانفجار الصحيح ، للتخلُص منه ، مثلما حدث فى كل العمليات الإرهابية السابقة .

ثم ابتسم فى دهاء ، وهو يستطرد :

ــ اطمئن يا صديقى .. سيخسر المصريون هذه المرَة ..

* * *

دخل (ممدوح) ، برفقة أعوان (بجوان) ، إلى قاعة الميْسر (القمار) بكازينو (أضواء باريس) ، وألقى نظرة لامبالية

على (بجوان) ، وهو يقف عند مائدة (الروليت) ، ثم ذهب إلى خزينة الكازينو ، واستبدل ببعض الفرنكات الفرنسية فيشات لعب حقيقية ، لتغطية ما يحمله من فيشات زائفة .. واتجه إلى مائدة (الروليت) ، وبدأ يزاول اللُّعبة ، ويحقِّق بعض الأرباح العادية ، فى حين وقف (بجوان) يراقبه عَبْر المائدة بعض الوقت ، ثم أشار إليه باستمرار اللَّعب ، وغادر مكانه متجهًا نحو كابينة الهاتف ، ليجرى اتصاله بالسلطات الفرنسية طبقًا لخُطَّته ..

وفجأة .. اندفعت صديقة (بجوان) الشقراء من باب الكازينو ، ورآها (بجوان) من داخل كابينة الهاتف الزجاجية ، وهى تسرع نحو (ممدوح) ، فهتف فى سخط :

ــ اللَّعنة !!

وجذبت الفتاة (ممدوح) من ذراعه ، وهى تقول فى توتُّر :

ــ توقَّف عن اللَّعب .. هذه الفيشات ستتسبَّب فى كارثة .

شعر (ممدوح) بالحرج ، وارتسمت الدهشة على وجوه الحاضرين ، وهم يحوِّلون أنظارهم إليه ، فاعتذر للقائم على اللُّعبة ، وانتحى بالفتاة جانبًا ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ ماذا فعلت ؟

هتفت الفتاة فى جَزَع .

ــ إننى أحاول إنقاذك ، وإنقاذ كل هؤلاء الأبرياء .. لقد سمعت كل شىء ، ونجحت فى الفرار من الحجرة التى سجننى فيها (بجوان) فى منزله ، حتى يمكننى تحذيرك .

تصوَّر (ممدوح) أنها تقصد عملية الغش فى اللعبة ، بفيشات زائفة فهمس فى هدوء :

ــ كل شىء متفق عليه يا عزيزتى .. وإدارة الكازينو ، ورجال الشرطة يعرفون كل شىء ، وهم يساندوننى من أجل نجاح الخُطَّة ، فلا تفسدى الأمر .

تطلَّعت إليه الفتاة ، وهى تقول فى فزع :

ــ وهل يعلمون أن بعض هذه الفيشات تحوى قنابل متفجرة ، ستنفجر بعد خمس دقائق بالضبط ؟

نظر إليها (ممدوح) فى ذهول ، مغمغمًا :

ــ ماذا تقولين ؟!.. قنابل ؟

أجابت الفتاة فى ذُعر :

ــ نعم .. إنهم ....



ركع (ممدوح) إلى جوار الفتاة ، محاولًا إسعافها ..

وفجأة .. اتسعت عيناها فى ذُعر وألم وذهول ، وهوَت بين ذراعى (ممدوح) ، الذى رأى خنجرًا مغروسًا فى ظهرها حتى مقبضه ، ورأى رجلًا يركض مبتعدًا وسط روَّاد الكازينو ، الذين تولَّاهم الذُّعر والفزع ، فراحوا يتدافعون فى اضطراب وفوضى ، نجح خلالها (بجوان) وأعوانه فى الفرار ، على حين ركع (ممدوح) إلى جوار الفتاة ، محاولًا إسعافها ، إلَّا أنها استوقفته فى وهن ، وغمغمت فى ألم وضعف :

ــ اسمعنى .. أنا أعلم أنك ضابط مصرى ، وأنك من أبرع رجال الأمن فى وطنك .. لقد سمعت هذا وأنا أسترق السَّمع على الحديث ، الذى دار بين (بجوان) ومساعده .. ولقد عذَّبنى (بجوان) ، وأهاننى طويلًا ؛ لذا فكل ما أطلبه منك هو أن تنتقم لى منه .

ولم تكد تتم عبارتها حتى فارقت الحياة ، فالتفت (ممدوح) إلى روَّاد الكازينو ، وهتف بهم فى توتُّر :

ــ غادروا هذا المكان بأقصى سرعة .. سينفجر الكازينو كله بعد دقيقتين .

لم يستغرق استنكار الحاضرين ودهشتهم أكثر من لحظة .. تدافعوا بعدها نحو باب الكازينو ، وقد امتلأت قلوبهم بالذُّعر والفزع ..

وتحرَّكت عقارب الساعة فى سرعة ، وكأنها تؤيِّد حدوث الانفجار .. و ....

وانفجرت القنابل ..

* * *



٦ ـ خُطَّة الاغتيال ..

ملأت أخبار تدمير (كازينو باريس) وخسائره الفادحة كل الصحف ، ووسائل الإعلام الفرنسية .. ودارت كل التحليلات والتعليقات حول الغموض المحيط بالحادث ، والفاعل المسئول عنه ، وأشارت أجهزة الإعلام إلى ذلك اليونانى المجهول ، الذى اتصل برجال الأمن الفرنسيين ، ورجال أمن الكازينو ، قبل يوم واحد من الحادث ، يناشدهم التعاون معه ، والتغاضى عن بعض الغش فى لُعبة (الروليت) ، تمهيدًا لإلقاء القبض على منظمة إرهابية بالغة الخطورة .. وكذلك أشارت أجهزة الإعلام إلى مصرع الفتاة الشقراء ، وتلك الصِّلة التى تربطها برجل الأعمال الثرى (إيريك بجوان) ، وإلى التحذير الذى أطلقه ذلك اليونانى المجهول ، قبل انفجار القنابل الإليكترونية داخل الفيشات بدقيقتين ، وما ترتَّب على ذلك من فزع وفوضى ودمار .. وإن كان السبب فى نجاة معظم الروَّاد فى اللحظات الأخيرة .. وأخيرًا إلى اختفاء ذلك اليونانى المجهول

تمامًا ، وإلى انتهاء التحقيقات إلى طريق مسدود ، على الرغم من الشُبهات التى أحاطت بـ (إيريك بجوان) ، الذى لم يمكن إثبات وجود أيّة صلة تربطه بالحادث ، الذى اعتبره المسئولون مجرّد امتداد لموجة الإرهاب ، التى اجتاحت (فرنسا) فى الشهور الأخيرة ، والتى تقف خلفها منظمات عربية إرهابية ..

وكان (ممدوح) قد ابتعد عن مسرح الأحداث ، بعد انفجار الكازينو ، حينما أدرك أن خُطته الأولى قد فشلت ، بعد مفاجأة الفيشات المتفجّرة غير المتوقّعة ، ومصرع الفتاة .. وقد خشى أن يعُوق البوليس الفرنسى حركته ، ويقيّده بسلسلة من التحقيقات والتحرّيات ، تمنعه من مواصلة بحثه عن الدليل ، الذى يدين (بجوان) وأعوانه ، ويثبت مسئوليتهم عن لُعبة الإرهاب البشعة ، خاصةً أن كشف انتمائه إلى أجهزة الأمن المصرية قد يؤدى إلى تعقيد الأمور ، بأكثر مما تحتمل ..

لذا فقد رأى (ممدوح) أنه من الأفضل أن يختفى مؤقتًا ، ليعود فى شخصية جديدة لرجل تركى يدعى (أوغلو) ، وأقام فى غرفة صغيرة ، فى أحد الفنادق المتواضعة ، حتى تهدأ الأمور ، ويعاود صراعه مع (بجوان) ، الذى انتقل إلى فيلَا أنيقة فى الجنوب الفرنسى ..

كان يستعد للجولة الثانية ..

* * *

كانت الفيلَا التى يمتلكها (بجوان) فى الجنوب الفرنسى ، تقع فى ضاحية مدينة (منتوبان) ، وسط مساحة عشرة أفدنة من الأشجار والحدائق ، وتطل على نهر (الجارونى) ..

وفى ليلة غاب منها القمر ، توقّف (ممدوح) بسيارته على مقربة من فيلَا (بجوان) ، وجال ببصره فيما حوله ، ليتأكّد من أن أحدًا لم يكشف وجوده .. ثم أخرج من حقيبة سيارته وسادة خاصة ، حصل عليها من الإدارة الفنية للمكتب رقم (١٩) ، تمتلئ بغاز (الإيثان) ، الذى يسمح لها بالارتفاع فى الهواء ، إلى مسافة محدودة ، تبعًا لما تحويه من غاز ، ورقد فوقها بصدره وبطنه ، ونزع السَدادة الصغيرة من مؤخرتها ، لترتفع به تدريجيًا فى بطء ، وهو يوجّهها عن طريق مؤشر خاص فى مقدّمتها ، حتى تجاوزت السُور المحيط بالفيلَا ، إلى مسافة خمسة أمتار داخل حديقة الفيلَا ، قبل أن تهبط على الحشائش تدريجيًا ، حيث قفز (ممدوح) من فوقها ، قبل استقرارها على الأرض بمتر واحد ، وأسرع يخفيها بين الأشجار ، ثم استعان بمنظار مقرّب ، مزوّد بأشعة خاصة ، تمكّنه من الرؤية فى الظلام ، ليرصد مواقع الفيلَا

ومداخلها ، وبدأ يجتاز الشجيرات الصغيرة ، متجهًا نحو الفيلَّا ..

وفجأة .. ارتفع نباح كلاب شرسة ، ورآها تندفع نحوه ، فأسرع يعدُو محاولًا الهرب ، متجهًا نحو الأشجار القريبة من السُور .. ولكن الكلاب كانت أسرع منه ، فلم تلبث أن أحاطت به ، وهى تكشِّر عن أنيابها فى وحشية ، وتستعد ..

تستعد للانقضاض عليه ، وتمزيقه إربًا .

* * *

تحفَّزت الكلاب كلها للقفز على ضحيتها ، وافتراسها ، إلَّا أن صوتًا آمرًا شقَّ الظلام ، يأمرها بالتوقُّف ، فتسمَّرت الكلاب كلها فى مواقعها ، وهى تحيط بـ (ممدوح) ، الذى سقطت على وجهه أضواء المصابيح اليدوية ، ورأى (رامون) يقترب منه ، محاطًا بعدد من الحراس المسلحين ، وشفتاه ترتعشان فى عصبيَّة واضحة ..

وجرَّده (رامون) من أدواته كلها ، فأخذ المنظار المقرَّب ، والمسدَّس ، ثم فتَّش جيوبه فى دقَّة ، تشف عن احترافه ، بحثًا عن أيَّة أدوات دقيقة فى طيَّات ثيابه ، ثم أشار إلى أعوانه ، ليقودوا (ممدوح) إلى الفيلَّا ، دون أن ينطق بحرف واحد ..

واجتاز (ممدوح) رَدهة واسعة فى مدخل الفيلَّا ، قادته إلى حوض سباحة فاخر ، يسبح داخله (بجوان) ، مؤديًا بعض الحركات الاستعراضية ، ومتجاهلًا وجود (ممدوح) ، ثم لم يلبث أن صعد إلى حَافَةِ الحوْض ، وأخذ يجفف جسده بمنشفة أنيقة ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ كنت أعلم أنك ستأتى إلى هنا .

وارتدى روب استحمام أنيقًا ، وجلس إلى جوار منضدة صغيرة ، وضع (رامون) فوقها مسدَّس (ممدوح) ، ومنظاره المقرَّب ، إلى جوار عدد من زجاجات العصائر ، أسرع أحد رجال (بجوان) يصبّ محتويات إحداها من عصير الأناناس فى كوب زعيمه ، الذى استطرد ، قائلًا :

ـــ وكنت أنتظرك .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية لا تناسب الموقف ، وهو يقول :

ـــ يبدو أننى لم أعد أقوى على فراقك طويلًا ؛ لذا فقد حضرت لرؤيتك ، خاصةً وقد كنت شريكك يومًا ، فى لُعبة احتيال ، كدت أدفع حياتى ثمنًا لها .

ضاقت حدقتا (بجوان) ، وهو يقول فى صرامة :

— لُعبة سخيفة .. إننى أفضّل أن نلعب بأوراق مكشوفة هذه المرّة ، فأنا أعلم أنك ضابط مصرى ، تحمل رتبة مقدّم ، وتعمل لحساب إدارة العمليات الخاصة ، واسمك (ممدوح عبد الوهاب) .. وأعلم أيضًا أنك قد حضرت إلى (فرنسا) خصيصًا ؛ لإثبات علاقتى بحوادث الإرهاب الأخيرة فى (فرنسا) و (أوربا) ، ولتوفير الوقت أحب أن أخبرك أنك على حق ، فأنا المسئول عن كل هذا ، كما قد اتضح لك — ولابدَّ — بعد حادث الكازينو الأخير .. ولكن الأمور مازالت غامضة مجهولة ، بالنسبة للشرطة والمسئولين الفرنسيين ، الذين تحاول أن تمنحهم دليل إدانتى .. ولكن ينبغى أن تعلم أن هذا مستحيل ، فلن أمنحك مثل هذه الفرصة أبدًا ، ولا داعى لأن تجهد نفسك فى ارتياد أندية القمار ، ومطاردة الشقراوات .. وتقديرًا لجهودك فى عمليتك السابقة الفاشلة ، سأسمح لك بمشاهدة تنفيذ إحدى عملياتنا ، وسترى بنفسك كيف أننا لا نترك دليلًا واحدًا خلفنا ، وكيف نلصق بكم التهمة ، ببعض الاتصالات الهاتفية الغامضة ، والبيانات المدسوسة ، التى تحمل أسماء تنظيمات وهمية ، مثل (منظمة الجهاد المصرى) ، و (منظمة النضال العربى الحرّ) .. الخ .

أجابه (ممدوح) بنفس اللهجة الساخرة :

— إننى متشوّق بالفعل لرؤية بعض أعمالكم البطولية ، التى تشفّ عن إنسانيتكم ، وحضارتكم .

بجوان :

— غدًا ستشهد ذلك .. فهناك واحد من زعماء الأحزاب الفرنسية ينادى بمقاومة الإرهاب ، وإدانة الحكومات العربية ، وقطع العلاقات معها ، عند ثبوت تورُّطها فى أى حادث للمنظمات الإرهابية ، وهو يلقى بعض المعارضة داخل حزبه ، وبقية الأحزاب الأخرى ، التى ترفض إدانة الدول العربية دون دليل قوى ، وسنعمل نحن من جانبنا على دفع هؤلاء المعارضين لمساندته فى دعواه .

وابتسم ، وهو يستطرد فى دهاء بارد :

— وغدًا ستكون أحد شهود حادث اغتياله ..

* * *

٧ ـــ وكر الإرهاب ..

قاد رجال (بجوان) (ممدوح) إلى قبو أسفل الفيلَّا ، وهو معصوب العينين ، وأمره أحدهم أن ينحنى ، حتى لا يصطدم بالسقف المنخفض ، وأن يتوخَّى الحرص ، وهو يهبط درجات السُلَّم الحجرية القليلة .. ثم نزع العصابة ، من فوق عينيه ، ليجد نفسه فى حجرة ضيقة ، بلا أيَّة فتحات ، أو مجالات للتهوية ، وتركه الرجال داخل سجنه ، وارتقوا السُلَّم الحجرى ، وأغلقوا باب الحجرة المعدنى خلفهم ..

ولم يكد الباب يغلق خلفهم ، حتى أسرع (ممدوح) بتشغيل جهاز تصنُّت دقيق ، فى حجم زرّ صغير ، يختفى خلف أذنه فى براعة ، ليلتقط الأصوات التى ينقلها جهاز مشابه ، يختفى داخل المنظار المقرِّب ، الذى جرَّده منه (رامون) ، والذى وضعه على المنضدة ، إلى جوار (بجوان) ، وسمع (رامون) يقول فى صوت يشفّ عن الغضب :

ـــ إننى أحذِّرك من تكرار الخطإ ، ولست أرى سببًا

لإصرارك على استخدام ذلك المصرى ، فى عملية الاغتيال ، على الرغم من أنك لم تجن من وراء ذلك ، فى المرَّة السابقة ، سوى إثارة الشكوك والشُبهات ، حول أنشطتنا السِّرِّية .. لماذا لا نتخلَّص منه فورًا ، وننهى هذه العملية السخيفة ؟

بجوان :

ـــ قلت لك من قبل إن وجود هذا الرجل بين أيدينا فرصة ذهبية ، لابدَّ لنا من استغلالها على الوجه الأمثل .. فوجود ضابط مصرى رسمى ، وسط إحدى العمليات الإرهابية ، دون دليل يثبت عدم تورُّطه فى الأمر ، يجعل حكومته كلها تتورَّط فى ذلك النشاط الإرهابى .

رامون :

ـــ لقد أثبت هذا فشله من قبل ، فلقد تمكَّن ذلك الرجل من التملُّص من رقابتنا فى المرَّة السابقة ، ليتصل بالشرطة الفرنسية ، ويتعاون معهم للإيقاع بنا .

بجوان :

ـــ أخالفك الرأى يا عزيزى (رامون) .. فأقصى ما كان يتصوَّره ، هو أنه يسايرنا فى لُعبة غش واحتيال ، بواسطة فيشات مزوَّرة ، ولم تكن لديه أدنى فكرة عن القنابل

الإليكترونية ، التى دسَّها خبراؤنا داخل الفيشات .. ولولا هروب تلك الفتاة الحمقاء من سجنها ، وتدخُلها فى اللحظة الأخيرة ، لتمَّ كل شىء حسبما أعددنا له ، ولكان الآن مجرَّد أشلاء وسط ضحايا الانفجار ، ولتورَّطت دولته حتى النخاع فى العملية .

رامون :

ـــ وما الذى يمنع تكرار هذا الخطإ مرَّة أخرى ، وارتداد السهم إلى صدورنا فى قوة ؟

بجوان :

ـــ لن يتكرَّر هذا أبدًا ، فلقد أعددَّت خُطَّتى هذه المرَّة بحيث لم أترك بها ثغرة واحدة ، فهو لن يجد أدنى فرصة للاتصال بالمسئولين الفرنسيين ، والتعاون معهم كما حدث سابقًا ، إذ أنه سيظل تحت مراقبتنا ، وبين أيدينا حتى النهاية .

رامون :

ـــ وكيف ستفلح فى توريطه فى هذه العملية ؟

بجوان :

ـــ سيكون مميَّزًا عن باقى رجالى بقبَّعة رمادية ، وسنلزمه بوضعها فوق رأسه طيلة الوقت ، وسيسهِّل لنا (شارل دوبريه) ،

الحارس الخاص للرجل الذى ننوى اغتياله ، مسألة التسلُّل إلى الفيلَّا الخاصة به ، فى ضواحى (باريس) .. وبعد اغتيال الرجل وأسرته ، سيطلق (شارل) مع رجالنا النار على (ممدوح) ، الذى سيميِّزه وسط الآخرين بقبَّعته الرماديَّة .. وهكذا يتهم الحارس (ممدوح) باغتيال زعيم الحزب وأسرته ، مع جماعة تتحدَّث العربية ، ويدَّعى أنه قد حاول الدفاع عن الزعيم .. ولكن عنصر المفاجأة ، والإرهابيين الذين أحاطوا به منعوه من ذلك .. وإن نجح فى قتل أحدهم ، وأعنى به (ممدوح) بالطبع ، فى أثناء فرارهم بعد ارتكاب حادث الاغتيال ، ولن يجد رجال الشُّرطة صعوبة فى تعرُّف الجثة ، والعثور على دليل انتماء صاحبها لجهاز أمن مصرى .. ألا ترى معى أنها خُطَّة مُحْكمة ، تؤتى ثمارها ؟

بدا التردُّد على (رامون) لحظة ، قبل أن يقول :

ـــ ما زلت أشكُّ فى نجاح هذه الخُطَّة ، وأظن أنه من الأفضل أن ترجع إلى رأى الرؤساء فى (أسترتان) أوَّلًا ، قبل أن تفعل هذا .

ضحك (بجوان) فى استخفاف ، وهو يقول :

— لقد منحتنى المخابرات الأسترتانية ثقة كاملة ، وسلطات واسعة يا صديقى .. ومنحتنى حقّ تنفيذ ما يحقق أهدافنا ، دون الرجوع إلى أحد .. أنت الذى أصبح كثير التردُّد ، غير صالح للعمل فى جهازنا القوى يا (رامون) .

ارتعشت شفتا (رامون) ، كعادته كلَّما أصبح عصبيًّا ، وعدَّل من وضع منظاره الأسود فوق عينيه ، قائلًا :

— إننى أميل إلى الحرص يا (بجوان) ، وهذا هو الأسلوب الأمثل ، والأكثر جدوى بالنسبة لمن يعملون فى هذا المجال ، الذى لا يصلح للحركات الاستعراضية ، والمخاطرات العشوائية ، التى تلجأ إليها ، مع رجال من طراز هذا المصرى ، مستندًا إلى سلطات لا تستحقها .

قطَّب (بجوان) جبينه ، واكتسى وجهه بالغضب ، والتقط مسدَّس (ممدوح) من فوق المنضدة فى انفعال ، وصوَّبه إلى (رامون) ، الذى لم يحرِّك ساكنًا ، وإن شفَّ ارتعاش شفتيه عن توتُّره وغضبه ، ثم لم تلبث ملامح (بجوان) أن لانت وهدأت ، وأعاد المسدَّس إلى مكانه ، وهو يبتسم فى سخرية ، قائلًا :

— لا تستخدم هذا الأسلوب معى مرَّة أخرى يا (رامون) ، فأنا — كما قلت أنت — لا أتميَّز بالصبر أو الحرص ، وربما دفعت إحدى الرصاصات يومًا ، بين شفتيك المرتعشتين .

ثم نهض مغادرًا المكان ، وترك (رامون) يتابعه من خلف منظاره الأسود ، وهو يهمس فى حُنق :

— من يدرى ؟.. ربَّما لا تحيا طويلًا لتفعل ذلك يا عزيزى (بجوان) !!

* * *

أغلق (ممدوح) جهاز الاستقبال ، بعد أن استمع إلى حوار الرجلين ، وجلس مستندًا بظهره إلى الحائط ، وهو يمدّ ساقيه أمامه ، ويفكِّرُ فيما ينبغى أن يفعله ، إزاء هذا المأزق الحرج ، الذى يتهدَّده بالموت ، ويُوقع بدولته فى عملية إرهابية لايدَّ لها فيها ..

وبينما كان مستغرقًا فى تفكيره ، فُتح باب القبو ؛ ليدخل منه (بجوان) ، مرتديًا زىّ القوّات الخاصة ، وقد التفَّ حول خصره حزام يتدلَّى من جانبيه جرابان من الجلد ، فى كل منهما مسدَّس سريع الطلقات ، وعلى رأسه (بيريه) أخضر ، وحوله ثلاثة رجال مسلَّحين بالمدافع الرشَّاشة .. ووضع قبضتيه على



وبينما كان مستغرقًا فى تفكيره ، فُتح باب القبو ، ليدخل منه (بجوان) ، مرتديًا زىّ القوات الخاصة ..

جانبى وسطه ، قائلاً لـ (ممدوح) ، فى لهجة تجمع ما بين السخرية والزهو :

ـــ أعتقد أنك تشعر بالكثير من الملل والضيق هنا ؛ لذا فسنعمل على أن ترتفع معنوياتك غدًا ، وأنت تشاهد عملية الاغتيال ، أما الآن فسأصحبك فى جولة قصيرة ، تشاهد خلالها معسكرات تدريب الإرهابيين التابعين لنا ، حتى يمكنك تكوين فكرة جيّدة عن قدرات الجهاز الذى تعمل ضده ، وإمكاناته الهائلة ، وستجعلك هذه الجولة تدرك مدى حماقة رؤسائك ، الذين أرسلوك إلى هنا ، لتتورّط فى مواجهة غير متكافئة ، مع العقل الذى دبّر كل هذا .

أجابه (ممدوح) بلهجة مرحة :

ـــ أشكر لك اهتمامك بشخصى المتواضع ، فقد كنت قد بدأت أشعر بالملل حقًا ، ثم إنك ستقدّم لى بعض المعلومات المجّانية .

أكمل (بجوان) فى سخرية :

ـــ التى لن تفيد منها ، اللّهم إلّا فى الآخرة .

وبنفس المرح والسخرية ، أجابه (ممدوح) :

ـــ لن أصل إليها جاهلاً على الأقل .

مطَّ (بجوان) شفتيه فى استخفاف ، ثم ثبّت جهازًا صغيرا على الحائط ، الذى انفرج كاشفًا فجوة صغيرة ، تسمح بمرور شخص واحد على الأكثر .. ولم يدهش ذلك (ممدوح) ، الذى اعتاد المفاجآت فى مغامراته ، وإنما انتابه الفضول لمعرفة ما خلف الفجوة ، فتقدّم إليها أولًا ، وعَبَرها خلفه (بجوان) ، ثم رجاله المسلحون ، وقد أدرك (ممدوح) فى هذه اللحظة أنه قد كوّن فكرة واضحة عن خصمه ، فإصراره على ارتداء الزىّ العسكرى ، ومباهاته بإصراره وذكائه ، وإمكاناته ومخططاته ، كلها تتفق مع رأى (رامون) ، فى أنه يميل إلى الاستعراضيات ، على حساب سرّية العمل ، وهذه أبرز نقاط ضعفه ، وعليه أن يعمل على استغلالها حتى النهاية ..

* * *



٨ ـ صراع مع الموت ..

تقدّم (بجوان) و (ممدوح) ، وهو يقول :

ـ يعود بناء هذه الفيلّا إلى عام ألف وثمانمائة وعشرة ، وهى تزخر بالأقبية والممرّات السرّيّة ، وهذا هو سبب إصرارى على شرائها بالذات .

ثم ثبّت جهازه فى جدار آخر ، فانفرج بدوره . كاشفًا فجوة يمتد منها سرداب طويل ، وهو يردف :

ـ لقد زوّدنا المداخل بوسائل حديثة لفتحها وإغلاقها بالطبع ، ولكن هذه السّراديب والممرّات مازالت الأسلوب الأمثل لإخفاء الأنشطة السرّيّة .

حدّث (ممدوح) نفسه ، قائلًا :

ـ لابدّ لى من تغذية زهوه وغروره ، حتى يتمادى فى كشف ما لديه من أسرار .

ثم قال فى صوت مرتفع ، وبلهجة تستحث (بجوان) على مواصلة الحديث :

ــ لقد كان اختيارك موفَّقًا للغاية ــ والحقّ يقال ــ ويشفّ عن عقل جهنمى ، يحسن صاحبه العمل .

وأفلحت خُطَّة (ممدوح) ، فقد ابتسم (بجوان) فى زهو ، وهو يقول :

ــ إنك لم تَرَ شيئًا بعد ، مازال أمامك الكثير .

واصلوا سيرهم عَبْر السرداب الطويل ، الذى انتهى بهم إلى باب ضخم ، فتحه (بجوان) ، ليكشف عن كهف هائل ، تحوَّل بكثير من الجهد والمال إلى معسكر تدريب حديث ، يزاول فيه العشرات تدريبات عسكريَّة مكثَّفة ، تحت إشراف عدد من ضباط المخابرات الأسترتانية ، وأخذ (بجوان) يستعرض الضباط والإرهابيين ، قائلًا فى زهو :

ــ هنا .. فى هذا الكهف السِّرِّى ، الذى تفصله عن نهر (الجارون) خمسة أمتار من الأشجار الكثيفة المتشابكة ، نقوم بتدريب تلك المجموعات الإرهابية ، على تنفيذ تلك العمليات الانتحارية ، التى تؤرق (أوربا) كلها ، وتجثم على أنفاسها بشبح مرعب مخيف ، يحمل اسم منظمات عربية إرهابية وهمية .. ولقد تم اختيار هذه المجموعات بدقَّة بالغة ، فبالإضافة إلى أنهم من القتلة السفَّاحين ، الذين لا يتورَّعون عن إراقة الدماء ،

فقد روعى فى اختيارهم أن يحملوا بعض الملامح العربية ، وأن يكونوا من جنسيات قريبة الشبه بالعرب ، كالأتراك والإيرانيين ، وبعض اليونانيين والباكستانيين ، حتى يروى هذا بذور الشك ، التى نزرعها فى قلب الشعب الفرنسى وسلطاته وحكومته .. وبيننا أيضًا بعض ضعاف النفوس من العرب ، الذين أسال المال لُعابهم ، فانخرطوا فى صفوفنا ، ولا تجعل هذا يدهشك ، فنحن ندفع فى سخاء ، وإلَّا فما أمكننا السيطرة على هؤلاء الوحوش وترويضهم ، وإخضاعهم لأهدافنا .

اجتاح الغضب نفس (ممدوح) إزاء هذه المؤامرة الحقيرة ، التى تنفِّذها تلك الدولة العدوانية ، بواسطة ذلك الشيطان ، دون مبالاة بأيَّة قيم إنسانية أو حضارية ، فى سبيل هدف حقير ، يلوِّث الشرفاء بدماء الأبرياء .. ولكنه اضطر لكبت غضبه وانفعاله ، حتى يحصل على ما يبتغى من معلومات ، وقال فى هدوء :

ــ أعتقد أن رجالك هؤلاء لايرحلون إلى (باريس) عن طريق فيلتك ، وإلَّا أثارت تحرُّكاتهم الرِّيبة .

جدوان :

ــ لا بالطبع .. إنهم ينتقلون بواسطة زوارق بخارية عَبْر النهر ، فى هيئة سائحين ، إلى الجهات والأهداف التى تُعَيَّن لهم .

ثم ابتسم فى دهاء ، مستطردًا :

— كما سترى .. غدًا ..

* * *

اتصل حارس أمن البوّابة الرئيسيَّة لفيلَّا (سوارتييه) ، سكرتير الحزب الديجولى الفرنسى ، بالحارس الخاص له فى الداخل ، عن طريق هاتف خاص ، ليبلغه بقدوم سيارة سوداء كبيرة ، تقلّ عددًا من الأشخاص ، يزعمون أنهم مندوبو وكالة أنباء إيطالية ، وأنهم قد أبرزوا له بطاقاتهم الدَّالَّة على ذلك ، فأجابه الحارس الخاص ، قائلًا :

— نعم .. لقد جاءوا لإجراء حديث خاص لحساب وكالتهم ، مع مسيو (سواتييه) .. دَعْهم يمرّون .

فتح الحارس البوّابة الضخمة فورًا ، ورفع الحاجز المعدنى الذى يعترضها ، ليسمح للسيارة بالمرور ، فانطلقت حتى توقّفت أمام الباب الداخلى للفيلّا ، وهبط منها خمسة أشخاص ، بينهم (ممدوح) ، الذى يرتدى سُترة جلدية ، ويضع على رأسه قبَعة رمادية ، وأمسك بعضهم بآلات التصوير ،وأجهزة التسجيل ، وبعض الحقائب الجلدية ، واستقبلهم (شارل دوبريه) ، الحارس الخاص لمسيو (سوارتييه) ،

عند أعلى درجات سُلّم الفيلّا ، المؤدى إلى البهو الداخلى ، ورمق (ممدوح) بنظرة خاصة ، وهو يقودهم إلى قاعة الاستقبال الضخمة ، قائلًا :

— سيصل مسيو (سوارتييه) بعد لحظات .

وحضر (سوارتييه) بعد لحظات بالفعل ، ورحَّب بهم مع أفراد أسرته ، وهم يهبطون من درجات السُّلَّم الداخلى للفيلّا ، ووقف الإرهابيون لمصافحته ، وقد تأهَّبوا لتنفيذ خُطَّتهم الوحشية ، فور اكتمال أفراد الأسرة .. ووقف (ممدوح) بدَوْره ، وتحسَّس الحزام الذى يحيط خاصرته فى اهتمام ، دون أن تثير هذه الحركة انتباه أى من الإرهابيين ، الذين كانوا مطمئنين إلى أنه لايحمل أيَّة أسلحة ، دون أن يدرك أحدهم أن هذا الحزام لم يكن مجرَّد حزام عادىّ ، وإنما هو حزام خاص ، أعدّته الإدارة الفنِّية للمكتب رقم (١٩) ، لاستخدامه فى الأوقات الحرجة ..

وكان هذا — فى رأى (ممدوح) — وقتًا حرجًا ..

* * *

جذب (ممدوح) فى هدوء مسمارين صغيرين ، من تلك المسامير الصغيرة اللامعة ، التى تزيِّن حزامه ، فتحرّكت

(سوستة) صغيرة داخل الحزام ، لتكشف عددًا من الفتحات الدقيقة ، التى انبعثت منها فجأة أضواء ساطعة مُبهرة ، جعلت الجميع يغلقون عيونهم فى قوة وألم ، ويحاولون حمايتها بأيديهم ، فيما عداه ، فقد استعدَّ لهذا الموقف بعدسات خاصة ، تحمى عينيه من الضوء الساطع ، وكان يعلم أن تأثير هذه الأضواء المبهرة لن يستغرق أكثر من أربعين ثانية ..

وكان هذا كل ما يحتاج إليه .

وفى خفَّة الفهد ، قفز (ممدوح) نحو (سوارتيبه) ، وجذبه بعيدًا ، وهو يصرخ فى أفراد أسرته ، الذين تسمَّروا من فرط الذُّعر والمفاجأة :

ـــ اصعدوا إلى غرفكم فورًا .. إنها مؤامرة لاغتيالكم جميعًا .

جذبت زوجة (سوارتيبه) أطفالها ، وأسرعت تعدُو فى فزع إلى حجرات النوم ، فى حين دفع (ممدوح) (سوارتيبه) نحو المدفأة الكبيرة فى الحائط ، فى نفس اللحظة التى استردَّ فيها الإرهابيون بصرهم ، واستعدُّوا لإخراج أسلحتهم من حقائبهم ، بعد أن دفعهم تصرُّف (ممدوح) المفاجئ إلى تبديل خُطَّتهم ، والإسراع بتنفيذ عملية القتل .. ولم يكد (شارل) ، حارس (سوارتيبه) الخاص ينتزع مسدَّسه ، ويصوِّبه نحو (ممدوح)

حتى التقط فى حركة سريعة ، واحدًا من الأسياخ الطويلة ، التى تستخدم لتقليب الفحم والأخشاب داخل المدفأة ، ذات الطراز التقليدى القديم ، وهوَى به على ساق الحارس بضربة قوية ، جعلته يسقط أرضًا ، وهو يتأوَّه فى ألم ، فعاجله (ممدوح) بضربة أقوى على رأسه ، أفقدته الوعى ، وأسرع يلتقط مسدَّسه ، ولكن رصاصات الإرهابيين انهالت عليه ، قبل أن يطلق رصاصة واحدة . فدفع أحد التماثيل البرونزية ، الموضوعة فوق رفِّ المدفأة نحوهم ، فتحطَّم ، وتناثرت أجزاؤه فى عنف ، جعلهم يتراجعون لحظة ، ويتوقَّفون عن إطلاق النار جزءًا من الثانية ، أطلق هو خلاله رصاصتين ، فأردَى اثنين منهم قتيلين فى الحال ، واحتمى مع (سوارتيبه) بجدار المدفأة ، فى حين انهالت الرصاصات على الجدار ..

وفى هذه اللحظة أسرع إلى المكان كل الخدم ، وحارس البوَّابة الخارجية ، إثر أصوات الرصاصات ، فتحوَّل إليهم الإرهابيون ، وأمطروهم برصاصات عديدة ، وهم فى حالة شديدة من العصبيَّة والتوتُّر ، إثر فشل الخُطَّة ، فقتلوا بعضهم .. وتمكَّن (ممدوح) فى هذه اللحظة من إطلاق رصاصة أخرى ، صرعت إرهابيًّا آخر ، فازداد جنون الإرهابىَّ

الوحيد الباقى ، وأخذ يطلق رصاصاته فى كل الاتجاهات ..

وحاول (ممدوح) أن يبادله إطلاق النار ، إلَّا أنه كشف أن مسدَّسه قد فرغ من الرصاص ، و (سوارتيبه) ملتصق بذلك الفراغ الضيِّق ، بين المدفأة والحائط ، وقد تولَّاه ذُعر هائل ، فى حين فرَّ من بقى حيًّا من الخدم ، وصراخهم يتعالى فى فزع ..

وتقدَّم الإرهابى الأخير من مخبإ (ممدوح) و (سوارتيبه) ، وارتسمت على وجهه الوحشية والشراسة ، وأضيف إليهما الغضب ، وقليل من السخرية ، بعد أن أدرك خُلوّ مسدَّس (ممدوح) من الرصاصات ..

لقد أصبح الإرهابى الأخير هو سيِّد الموقف ..

* * *



٩ ـــ مواجهة الشيطان ..

على الرغم من أن فرصة (ممدوح) فى النَّجاة ، لم تكن تتجاوز الواحد فى المائة ، إلا أن خبرته ، وتجاربه السابقة علَّمته أن يبذل قُصارى جهده ، فى سبيل ما هو أقلّ من ذلك ، مادامت هناك فرصة للنَّجاة ، وكان عليه أن يتصرَّف كانتحارىّ لإنقاذ حياته وحياة (سوارتيبه) ..

لذا فقد اندفع (ممدوح) من مكانه فجأة ، وقفز كالقذيفة ، وساقه تمتد أمامه ، مسدِّدًا ركلة قوية ساحقة إلى وجه الإرهابى ، الذى أخذته المفاجأة ، وقوة الضربة ، فدار حول نفسه ، ثم سقط أرضًا ، وضغطت سبَّابته زِناد مدفعه الرشاش على نحو غريزى ، فانطلقت رصاصاته نحو السقف ، وهو ما زال تحت تأثير المفاجأة ، وأصابت إحدى رصاصاته الثريَّا الفاخرة المدلَّاة من سقف الحجرة ، فسقطت فوقه ، وتحطَّمت مصابيحها وبلَّوراتها فى قوة ..

وأزاح الإرهابى الثريَّا المحطَّمة ، ونهض فى صعوبة بكل جراح

جسده ووجهه .. ولكنه لم يكد يفعل ، حتى رأى (ممدوح) فوق رأسه ، يصوِّب إليه أحد المدافع الرشَّاشة ، التى التقطها من بين يدى إرهابى قتيل ، وزحف (سوارتييه) من مكمنه مذهولًا ، لا يصدِّق خروجه حيًّا من تلك الموقعة الرهيبة ، فى حين هبطت زوجته ، وهبط أولاده السُّلم قفزًا ، وأحاطوا به يبكون ، ويحتضونه ، ويهنئونه على النجاة ، وارتفعت أصوات سيارات الشرطة المميَّزة ، وهم يحيطون بالفيلَّا ، بعد أن أبلغهم حارس الفيلَّا الخارجى بما حدث ..

وارتسم الذهول على وجه مفتش الشُّرطة وأعوانه ، وارتسمت العشرات من علامات الاستفهام فى ملامحهم ، وهم ينقلون أبصارهم بين (ممدوح) ، الذى مازال يصوِّب سلاحه إلى الإرهابىّ ، وسكرتير الحزب وأسرته ، وجثث القتلى ، وآثار المعركة العنيفة ، ثم التفت مفتش الشُّرطة الفرنسى إلى سكرتير الحزب ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ هلَّا أخبرتنى بما حدث هنا بحقِّ السماء يا مسيو (سوارتييه) ؟!!

أجابه (سوارتييه) ، وهو ما يزال تحت تأثير الانفعال الشديد :

ـ هلَّا أخبرتنى أنت بالله عليك ؟!.. لقد أخبرونى أن مراسلى إحدى وكالات الأنباء الإيطالية ، يرغبون فى إجراء حديث سياسى معى .. وما أن هبطت مع أفراد أسرتى لمقابلتهم حتى تحوَّلوا فجأة إلى فريق من القتلة ، يطلقون النار فى كل الاتجاهات ، ولولا هذا الرجل لقضيت نحبى مع أسرتى كلها .

تحوَّل مفتش الشُّرطة إلى (ممدوح) ، وكادت علامات الاستفهام والدَّهشة تقفز من عينيه ، لولا أن ابتدره (ممدوح) ، قائلًا :

ـ ستجد لدى كل ما تسعى إليه من إجابات ، ولكن عليك بإلقاء القبض على هذا الرجل أوَّلًا ، وكذلك على (شارل) ، الحارس الخاص لمسيو (سوارتييه) ، فهو شريك لهم فى محاولة اغتيال مخدومه ، وإلصاق ذلك بالعرب عامَّةً ، والمصريين على وجه الخصوص .

وتألَّقت عيناه بعزم قوى ، وهو يستطرد :

ـ ويكفينى أن يعلم مسيو (سوارتييه) ، وأن تعلموا جميعًا ، أن الرجل الذى أنقذ حياته ، والذى جاء خصيصًا لمحاربة هؤلاء الإرهابيِّين هو رجل عربى .. من (مصر) ..

* * *

رصدت الكاميرات التليفزيونية ، المندسة بين الأشجار الكثيفة المتشابكة ، وصول القارب البخارى ، الذى يشق مياه النهر ، فى طريقه إلى المخبأ الخاص فى فيلّا (بجوان) ، ونقلت الشاشة التليفزيونية الكبيرة داخل كهف التدريبات ، صورة الإرهابيّين الأربعة ، بثيابهم المميَّزة ، وهم يهبطون من الزّورق إلى اليابسة ، ويجذبونه ليخفوه بين الأشجار ، فابتسم (بجوان) ، وهو يقول :

ـــ لقد نجحت المهمَّة .

ثم أصدر أوامره بفتح باب الكهف السِّرِّىّ ؛ لاستقبال الإرهابيين ، وهو يتحرّق شوقًا لسماع تفاصيل تنفيذ العملية ، والنتائج التى أحرزوها ..

وبينما كانت أنظار الجميع تتجه إلى مدخل الكهف ، حيث يقترب الإرهابيون الأربعة ، كان عشرات من رجال الضفادع البشرية يتسلّلون من النهر إلى الشاطىء ، ليختفوا بين الأشجار الكثيفة ، متجنّبين عدسات الكاميرا التليفزيونية ..

وفى الكهف سأل (بجوان) ذلك الإرهابىّ ، الذى ألقى (ممدوح) القبض عليه فى فيلّا (سوارتييه) ، فى صوت قلق :

ـــ هل نجحت العملية ؟

أجابه الرجل :

ـــ نعم .. ولقد تخلَّصنا من العميل المصرى أيضًا .

خامر (بجوان) شعور من الارتياب والتوتُّر والقلق ، لم يدرِ له سببًا ، وهو يقول :

ـــ يبدو أنكم قد حقَّقتم ذلك دون خسائر على الإطلاق .

غمغم الرجل فى اقتضاب :

ـــ نعم .

أدرك (بجوان) فجأة أن الرجل يبدو غير طبيعى ، وأن صوته ووجهه يرتجفان ، فتحوَّل بنظراته المرتابة إلى الرجال الثلاثة الذين يرافقونه ، والذين حرصوا على البقاء فى الظل ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يصرخ :

ـــ إنهم ليسوا رجالنا .. إنهم يرتدون أقنعة مزيَّفة تشبههم .. اقبضوا عليهم جميعًا .

ولكن أوامره لم تنفَّذ هذه المرَّة ..

* * *

لم يكد (بجوان) يلقى أوامره ، حتى تحرَّك الرجال الثلاثة ، الذين ينتحلون شخصية الإرهابيين ، فى سرعة تليق بالمحترفين ، ففتحوا حقائبهم ، والتقطوا منها ثلاثة مدافع صاروخية مدمِّرة ،

صوَّبوها إلى (بجوان) ورجاله ، الذين شلَّتهم المفاجأة ، التى وصلت إلى ذروتها حينما انتزع الثلاثة أقنعتهم ، وبدا وجه (ممدوح) وسط اثنين من رجال المباحث الفرنسية ، وهو يبتسم فى سخرية ، قائلًا :

— ها نحن أولاء نلتقى للمرَّة الثالثة يا عزيزى (بجوان) .. ألم أقل لك إننى لا أقوى على فراقك طويلًا ؟

امتقع وجه (بجوان) فى شدة ، فى حين تحوَّل (ممدوح) إلى الإرهابى الذى أسره ، واستطرد :

— هيَّا .. توجَّه إلى هذه الأزرار ؛ لتفتح مغارة (على بابا) هذه .

انصاع الرجل للأمر ، فى حين حاول اثنان من أعوان (بجوان) ، التسلُّل خلف (ممدوح) ، وزميليه من رجال المباحث الفرنسية ، لالتقاط بعض الأسلحة المعلَّقة على جدار الكهف ، ولكن أُذن (ممدوح)المدرَّبة الحسَّاسة التقطت صوت حركتهما ؛ فاستدار فى سرعة وأطلق طلقة صاروخية من مدفعه ، انهار على أثرها جزء من الجدار الصخرى ، بما عليه من أسلحة ، فتجمَّد الرجلان فى مكانهما فى رُعب وهلع ، وأسرع الإرهابى الأخير يضغط الأزرار ، ليفتح مدخل الكهف ، بعد

أن أفزعه ما حدث ، فى حين حاول (بجوان) أن يتظاهر بثبات الأعصاب ، وهو يقول فى هدوء :

— هل تظن أنك ستنجح مع رجلين فقط فى الخروج من هنا حيًّا ؟.. أنت تعلم أن هذا المكان يضمّ مائة رجل ، مدرَّبين على القتل والتدمير ، وهم على مقرُبة من هنا .. ولاريب أن الفرقعة التى أحدثتها قد أثارت انتباههم وقلقهم ، وسيكون من الحماقة أن تتصوَّر أن ثلاثة رجال ، وثلاثة مدافع — أيًّا كان نوعها — تكفى لقتال كل هذا العدد .

ممدوح :

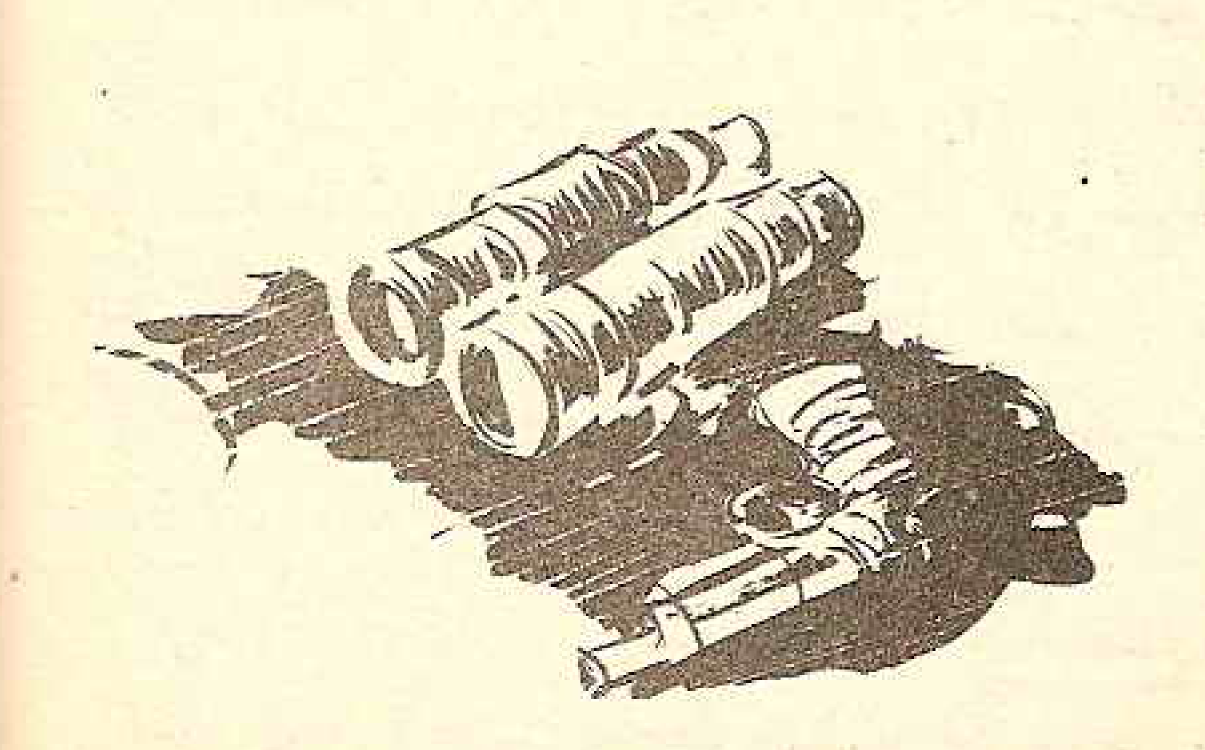
— اطمئن يا عزيزى (بجوان) ، فقد كنت سخيًّا فى اطلاعى على كل ما يحويه المكان من أسرار ، وكان من الطبيعى أن أستعد لها ، وبفضل غرورك وحماقتك لن أقاتل مع هذين الشرطيَّين فقط ، بل مع العشرات من رجال الضفادع البشرية الفرنسيين ، الذين فتحت لهم باب كهفك السرِّى ، حتى يكون لك شرف استقبالهم بنفسك .

أربدَّ وجه (بجوان) ، وفشلت محاولاته فى اصطناع الثقة والهدوء ، بعد أن أدرك أن الخطر يحيط به حقًّا ، وعلى نحو لم يتوقَّعه أبدًا ..

وفجأة .. تبدَّلت الأمور ، واندفع إلى الكهف عشرات الإرهابيِّين ، وهم يطلقون رصاصاتهم نحو (ممدوح) وزميليه ..

وفُتِحت أبواب الجحيم ..

* * *



١٠ ـ الشَّيطان والجلَّاد ..

قفز (ممدوح) ورفيقاه خلف الصخور والأجهزة المتناثرة فى المكان ، ليحتموا من رصاص الإرهابيين ويبادلوهم نيرانًا بنيران ، وصرخ (بجوان) ، الذى قفز خلف إحدى المعدَّات الضخمة ، واختطف مدفعًا رشَّاشًا :

ـ أغلقوا مدخل الكهف .

وأخذ يطلق النيران بدوره على (ممدوح) ورفيقيه ، الذين عاونتهم قوة قذائفهم الصاروخية على الصمود ، على الرغم من تفوُّق الإرهابيِّين العددىّ ، الذين أسرع بعضهم نحو الأزرار الخاصة بفتح وإغلاق مدخل الكهف ، فى محاولة للحيلولة بين الضفادع البشرية الفرنسية ، ودخول الكهف .. ولكن (ممدوح) دمَّر الأزرار كلها بقذيفتين صاروخيتين ، قبل أن يمسها أحد ، فى نفس الوقت الذى صرع فيه (بجوان) أحد رفيقى (ممدوح) برصاصاته ، وأصاب الشرطى الآخر ذلك الجهاز ، الذى يختفى خلفه (بجوان) ، فدمَّره تدميرًا ، وأصاب يد (بجوان) بواحدة من شظاياه ..

ورأى (بجوان) رجال الضفادع البشرية الفرنسيين وهم يقتحمون المكان بأسلحتهم ، وشعر بحرج موقفه ، فاستغلَّ حالة الاضطراب والفوضى ، التى سادت المكان ، وانطلق هاربًا من هذه المعركة الخاسرة ، ولمحه (ممدوح) وهو يفرّ ، ولكن نفاد ذخيرته منعه من إيقافه ، فصاح يطلب من أحد رجال الضفادع البشرية إعارته مسدَّسه ، فألقى إليه الرجل بمسدَّسه ، فى نفس اللحظة التى صوَّب فيها أحد الإرهابيِّين مسدَّسه نحو صدر (ممدوح) ..

وفى حركة سريعة رشيقة ، التقط (ممدوح) المسدَّس ، وانحنى متفاديًا رصاصة الإرهابى ، وأطلق رصاصته هو على صدر الإرهابى ، فأرداه قتيلًا فورًا ، ثم انطلق يعدُو وسط الرصاصات المنهمرة كالمطر ، وقد تجاهل كل أوجه الموت المحيطة به ، أمام هدف واحد ..

اللِّحاق بـ (بجوان) قبل أن ينجح فى الهرب ..

* * *

كان (بجوان) يعلم أن فراره عن طريق المدخل الخارجى للفيلَّا يعدّ مستحيلًا ، إذ أن طائرات الهليوكوبتر ، ورجال القوَّات الخاصة ، والشُّرطة جاءُوا لتطويق المكان ، وإحكام

الحصار حول مداخل الفيلَّا ، ومخارجها السرِّيَّة ، ولكنه ، وعلى الرغم من كل ذلك ، لم يعدم وسيلة للفرار ، فقد بقيت لديه وسيلة سرِّيَّة واحدة ، لم يطلع عليها أحدًا ..

وأسرع إلى حجرة مكتبه ، حيث انتزع اللوحة الزيتية التى تزيِّنه ، وألصق جهازه الإليكترونى الخاص على الجزء المختفى من الحائط خلفها ، فتحرَّك كاشفًا فجوة أسطوانية صغيرة ، تتسع لرجل واحد ، فجذب جهازه ، وقفز داخل الفجوة ، التى عادت تُغلق خلفه فى بطء ، وهو ينزلق داخل أسطوانة ملساء خلف الفجوة ، ليعبُر من خلال فجوة أخرى فى نهايتها ، ويسقط فوق حشيَّة إسفنجية خاصة ، لتخفيف ارتطامه بالأرض ، داخل حجرة بالغة الضِّيق .

ولم يكد (بجوان) يسترد توازنه ، ويعتدل واقفًا ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يتطلَّع إلى مساعده (رامون) ، الذى انهمك فى جمع بعض الأوراق والوثائق ، وترتيبها داخل حقيبة كبيرة ، فهتف فى استنكار :

— (رامون) ؟!.. إذن فقد سبقتنى إلى الفرار .

أجابه (رامون) فى برود ، وهو يواصل عمله ، وكأنما كان يتوقَّع قدومه :

ــ نعم .. ولقد أحضرت كل الوثائق ، التى تدين تورُّطنا فى العمليات الإرهابية ، والتى تجاهلت أنت ، من فرط ذعرك ورغبتك فى الفرار ، إحضارها .

بجوان :

ــ لقد تصرَّفت بحكمة لحسن الحظ ، فبدون هذه الوثائق لن يمكنهم إدانة حكومتنا ، أو تحميلها مسئولية هذه الحوادث ، فكل الضباط الذين يقومون بتدريب الإرهابيين ، يحملون شهادات إنهاء خدمة صورية ، والإرهابيون أنفسهم لايعلمون لحساب مَنْ يعملون ، ويمكن لحكومتنا الأسترتانية التنصُّل من كل هذا ، وإدانتى وحدى به ، بل يمكنها أن تدَّعِىَ أننى كنت أعمل لحساب دولة عربية .

أغلق (رامون) حقيبته ، بعد أن انتهى من وضع كل الأوراق والوثائق داخلها ، ثم التفت إليه ، وعدَّل من وضع منظاره الطِّبىّ الأسود ، وهو يقول :

ــ كلُّ هذا عظيم ، ومتفق عليه منذ البداية ، ولكن المشكلة هى أنت .. فلقد أصبحت المتهم رقم واحد فى القضية ، وما تعرفه من معلومات لا يقل عمَّا تحويه هذه الوثائق ، وكلاكما يشكِّل خطورة بالغة لدولتنا .

سرى القلق فى أعماق (بجوان) ، أمام كلمات (رامون) ، التى تحمل الكثير من المعانى ، فغمغم مستنكرًا :

ــ ماذا تعنى ؟.. إن مخابرات (أسترتان) لن تعدم وسيلة ؛ لتهريبى من (فرنسا) .. فخلف جدران هذه الحجرة تمتد شبكة الصَّرف الصحىّ ، التابعة لمدينة (منتوبان) ، وهى تمتد حتى مدينة (أنجوليم) القريبة .. وخُطَّة الهرب ، المعدَّة لحالات الطوارئ القصوى ، تعتمد على الفرار عَبْر المخرج السرّىّ لهذه الحجرة ، وخلال شبكة الصَّرف الصحىّ ، إلى خارج المدينة ، حيث تشترك سفارتنا مع مخابراتنا فى تهريبنا إلى الخارج .. ولقد أعدّ الأمر بحيث أقيم المدة الباقية من حياتى فى مزرعة خاصة ، فى (أسترتان) ، دون أن تتورَّط حكومتنا فى أى عمل خطير .. هذا هو المخطَّط الذى أحفظه عن ظهر قلب .

أجابه (رامون) فى برود :

ــ هناك جزء تجهله من هذا المخطَّط يا عزيزى ، وهو أننى مكلَّف إعدامك فى حالة فشلك ، وعدم اتباعك القواعد والتعليمات .. وكم يؤسفنى أن أجَّلت تنفيذ الحكم حتى هذه اللحظة ، التى جعلتك تورِّطنا إلى هذا الحدّ .

اتسعت عينا (بجوان) فى ذهول ، وحاول أن ينطق بعبارة ما ، ولكن نظراته كلها امتلأت بالرُّعب ، وهو يحدّق فى المسدَّس ، الذى يصوِّبه إليه (رامون) ، وهو يقول فى برود :

— حان الوقت لتدفع ثمن غرورك وحماقتك أيها الغبىّ .

وانطلقت رصاصة (رامون) ؛ لتستقر فى رأس (بجوان) ، الذى حدّق فى وجه مساعده بذهول ، ثم سقط جثة هامدة ، فى حين ارتعشت شفتا (رامون) فى عصبيَّة ، وهو يتطلَّع إلى جثته فى ازدراء ، ثم لم يلبث أن حرّك ذراعًا صغيرة فى أحد أركان الحجرة ، فانكشف ممرّ سرّى خلف الجدار ، يقود إلى شبكة الصرف الصحىّ ، حيث يبدأ طريق الفرار ..

* * *

تتبَّع (ممدوح) قطرات الدماء ، التى سالت من جرح (بجوان) ، بعد إصابته بالشظية ، والتى تقود (ممدوح) إلى الطابق الثانى للفيلَّا ، واعترضه بعض الإرهابيِّين بأسلحتهم ، ولكنه تخلَّص منهم برصاصات مسدَّسه ، حتى وصل إلى حجرة مكتب (بجوان) ، فنقَّل بصره بين اللوحة الزيتية الملقاة أرضًا ، وآثار الدماء التى تنتهى عند الحائط ، وتساءل فى حَيْرة عمَّا يعنيه ذلك ، حتى لمح بنظره الثاقب آثار دماء باهتة ، فى ذلك

الجزء من الحائط ، الذى كانت تخفيه اللوحة .. فتقدَّم نحو هذا الجزء ، وأخذ يفحصه فى عناية ، ثم راح يدقّه بمقبض مسدَّسه ، وهو يرهف سمعه إلى الصوت المرتد عن دقَّاته ، حتى استبان له وجود فراغ يختفى خلف هذا الجزء من الجدار ..

وهنا التقط (ممدوح) من جراب خفىّ ، يلتف حول ساعده ، إصبعًا من الديناميت ، ثبَّته على ذلك الجزء من الحائط ، وأشعل فتيله ، ثم أسرع يحتمى بالمكتب من الانفجار ...

وانفجر الديناميت ، وحطَّم مدخل الممر السرّىّ ، واندفع (ممدوح) من مكمنه ، ليلمح وسط الغبار الناتج من الانفجار ، بقايا الأحجار والأتربة ، وهى تنزلق داخل الماسورة الأسطوانية الملساء إلى أسفل ..

ودون لحظة واحدة من التردُّد ، ألقى (ممدوح) نفسه داخل الفجوة ، وترك جسده ينزلق إلى أسفل ، دون أن يعبأ بالمجهول الذى تنتهى إليه ، ودون أن يحفل بالخطر المُحْدِق به ..

لأنه ببساطة أحد أفراد المكتب رقم (١٩) ..

* * *

١١ ــ متاعب المهنة ..

لم يكد جسد (ممدوح) يستقر فوق الحشيَّة الإسفنجية ، داخل الحجرة الضيقة ، حتى قفز واقفًا ، وأسرع نحو جثة (بجوان) ، الذى استقرّ على وجهه ، إلى جوار الحائط ، وقلب الجثة ليرى تلك الرصاصة المستقرة فى رأسها ، ثم التفت إلى ذلك الجزء المفتوح فى الجدار ، والذى يقود إلى الممرّ السرّى ، فأمسك مسدَّسه فى قوة ، وأشعل أحد أعواد الثقاب التى يحملها ، ودلف إلى الممرّ السرّى المظلم .. وبعد مسافة قصيرة ، وثلاثة أعواد ثقاب ، فوجئ بأنه يسير داخل شبكة صرف صحىّ كاملة .. فتطلَّع إلى الجدران الرطبة ، والمواسير الممتدَّة أسفله ، وتلك الكميات الهائلة من الجرذان ، التى تجرى بين قدميه فرارًا من نيران أعواد الثقاب ، وتساءل فى قلق عمَّا يمكن أن يخفيه ذلك المكان المظلم الرطب ، وعمَّا إذا كان الرجل الذى قتل (بجوان) قد فرَّ من خلاله ، آملًا أن يجد فى فتحة إحدى البالوعات البعيدة وسيلة للنجاة ؟

وفجأة .. لاح له بصيص من الضوء ، يتحرَّك مبتعدًا ، وسط الظُّلمة التى تسود المكان ، فأسرع نحوه ، دون أن يخامره أدنى شك فى أنه سيقوده إلى غريمه ، مستهديًا باعتياد عينيه على الظلام ، بعد أن فرغ ما معه من أعواد ثقاب ، ولكن صوت خُطواته تردَّد عاليًا واضحًا ، وسط ذلك التجويف الهائل فى باطن الأرض ، وسرعان ما انطفأ الشعاع الضوئى على أثر ذلك ، إلَّا أن (ممدوح) واصل عَدْوه ، غير مبالٍ بما يستهدفه من خطر ..

وفجأة .. عاد الضوء للانتشار ، فى وجهه هذه المرَّة ، حتى عجزت عيناه عن الرؤية ، وفى نفس اللحظة دوَى صوت رصاصة قاتلة داخل الممرَّات ..

* * *

فى نفس اللحظة التى سقط فيها الضوء على وجه (ممدوح) ، وبغريزته المدرَّبة على مواجهة الخطر والمفاجآت ، ألقى (ممدوح) جسده أرضًا ، وسمع دوِىّ الطلق النارىّ ، وشعر بالرصاصة تمزق فوق رأسه ليتردَّد صداها داخل الفراغ الأجوف ، فى حين عاد الضوء يختفى فى سرعة ..

ولكن خبرته حدَّدت المسافة بينه وبين الطلق النارىّ بما

لا يتجاوز المترين ، ولمحت عينيه ظل خصمه ، وهو يحتمى بأحد الأعمدة الخرسانية ، فانتزع مسدَّسه ، وحاول أن يطلق الرصاص على خصمه ، حينما يغادر مكمنه محاولًا إطلاق الرصاص عليه مرَّة أخرى ، إلا أن الأمر بدا بالغ الصعوبة ؛ إذ أن أقصى ما تسمح به هذه الظُّلمة الدَّهماء هو أن يلمح خيالًا أو ظلًّا باهتًا ، سرعان ما يختفى ، ثم إنه يرقد فى بقعة مكشوفة ، وخصمه يمتلك مصدرًا ضوئيًا ، يجعله أكثر تفوُّقًا ، وأكثر قدرة على تعيين هدفه ..

واستقرَّ (ممدوح) فى مكمنه ، يحاول تتبع أى حركة فى الظلام الدامس ، ولكن فجأة عاد الضوء يغمر وجهه ، ويغشى بصره ، وانطلقت رصاصة ؛ لتطيح بمسدَّسه بعيدًا ، وتخدش إحدى أصابعه .. ولم يكد خصمه يطمئن إلى أنه قد جرَّده من سلاحه ، حتى غادر مكمنه ، وأخذ يطلق رصاصاته فى تهوُّر ، فقد خرج (ممدوح) فى سرعة ، وقفز ليحتمى بإحدى المواسير الضخمة ، ولكن رصاصات خصمه أصابت الماسورة التى يحتمى بها ، فاندفع منها الماء غزيرًا ليغرق المكان ..

وزحف (ممدوح) فى خفَّة وسكون ، متتبِّعًا سير الماسورة ، ومحتميًا بها ، حتى وصل إلى أحد الأعمدة الخرسانية ، فقفز

يحتمى به ، وهو يكتم أنفاسه ، خشية أن يفضحه لهاثه ، فى حين أخذ خصمه يبحث عنه بواسطة مصباحه اليدوى ، الذى تحوَّل إلى سلاح ذِى حدَّين ، فكما عاون الخصم على البحث ، كذلك انعكس على الجدران ، وكشف لـ (ممدوح) أن هذا الخصم ليس سوى (رامون) ، الذى أصبح موقعه واضحًا محدودًا ..

وخلع (ممدوح) حذاءه فى رفق وهدوء ، واندفع نحو غريمه فى خفة ، ولكن (رامون) شعر به فى اللحظة الأخيرة ، فتحوَّل إليه ، مصوِّبًا مسدَّسه إلى رأسه ، إلا أن قدم (ممدوح) كانت أسرع منه ، فقد ركلت مسدَّسه فى قوة ، فأطاحت به ، فى حين اعتدل (ممدوح) ، قائلًا فى صرامة :

ـــ لقد تساوينا الآن أيها الوغد .

وأعقب عبارته بلكمة قوية ، أصابت فكَّ (رامون) ، فتراجع إلى الوراء ، وسقط منظاره الأسود ، وأتبعها (ممدوح) بأخرى جعلته يرتطم بعمود خرسانى ، فيسقط ، ويتظاهر بفقدان الوعى .. وحينما أمسك (ممدوح) كتفيه ، ليدير وجهه نحوه ، تخلَّى (رامون) عن تظاهره ، ورفع يده بالمصباح اليدوى ، ليهوى به على رأس (ممدوح) ، الذى ترنَّح من قوة الضربة وعنفها ..

وارتعشت شفتا (رامون) فى عصبيَّة ، وارتسمت فى ملامحه أبشع آيات الحقد والكراهية ، وهو يعيد الكرَّة ، فيهوى على رأس (ممدوح) بضربة أخرى ، جعلته يسقط أرضًا ، وسط المياه الغزيرة ، المندفعة من الماسورة ، التى ثقبتها الرصاصات ..

وأسرع (رامون) نحو حقيبته ، التى تركها فوق إحدى المواسير ، والتى تمتلئ بالوثائق الأستراتانيـة السِّريَّة ، ليواصل فراره ، حتى يجد طريق الهرب عَبْر واحدة من البالوعات خارج المدينة ، وقد اطمأنَّ إلى هزيمة خصمه ، وفقدانه الوعى ، وإلى غرقه المحتَّم وسط المياه المتدفِّقة ..

ـ ولكن (ممدوح) لم يكن قد فقد وعيه تمامًا ..

لقد اعترض طريق (رامون) بقدمه ، فتعثَّر هذا الأخير ، وسقط بدوره ، وسط المياه ، فقفز (ممدوح) فوقه ، وجثم على صدره ؛ لينهال عليه باللَّكمات ، فى حين أنشب هو أظفاره فى عنق (ممدوح) ، محاولًا خنقه ..

وغمرت المياه وجه (رامون) ، وشعر بالاختناق ، إلَّا أنه ظل متشبثًا بعنق (ممدوح) ، حتى استطاع أن يدفعه عنه ، ويرفع رأسه فوق سطح الماء ؛ لالتقاط أنفاسه ، ومحاولة دفع رأس غريمه تحت الماء ، ولكنه لم يكد يفعل حتى استجمع (ممدوح) كل

قوته ، وهوَى على عنقه بكل قوته بحافة يده ، فارتخت قبضتا (رامون) حول عنقه ، وهنا عاجله (ممدوح) بلكمة أخرى ، قبل أن يسترد قوته ، وهوَت اللكمة الثانية على فك (رامون) ، لتفقده الوعى تمامًا ، وسط المياه التى غمرت جسده كله ..

والتقط (ممدوح) أنفاسه فى عمق ، وهو يتحسَّس عنقه براحته ، بعد أن كاد يختنق بقبضتى (رامون) القويتين ، ثم جذب (رامون) من سترته فى قوة ، وانتشله من وسط المياه ، وأسنده إلى أحد الأعمدة الخرسانية ، وحلَّ رباط عنقه ليقيِّد به معصميه خلف ظهره ، ثم حمله فوق كتفيه ، والتقط الحقيبة ، واتخذ طريقه فى هدوء وارتياح ، بعد أن أيقن من نجاح عمليته هذه المرَّة أيضًا ..

* * *

استعدَّ أحد عمَّال الصرف الصحىّ بمدينة (منتوبان) ، لإجراء الفحص الدورىّ الخاص ، على مواسير شبكة الصرف الصحىّ فى القطاع الخاصّ به ، فأوقف درَّاجته بالقرب من بالوعة ما ، ورفع غطاءها ، ثم استدار ليلتقط أدواته الخاصة من حقيبته ، ليبدأ فى الهبوط إلى أسفل .. ولكنه لم يكد يُعِد أدواته ، ويلتفت نحو البالوعة ، حتى تسمَّر فى ذهول ؛ فقد رأى شخصًا

يطل من داخل البالوعة ، ثم يقفز إلى الخارج ، حاملًا فوق كتفيه رجلًا آخر ، وممسكًا بحقيبة جلدية ، وقد بدا الثلاثة فى حالة يُرْثَى لها ..

ولم يكد (ممدوح) يستقر فوق سطح الأرض ، حتى التفت إلى الرجل ، الذى تجمَّد فى مكانه ، وفغر فاه دهشةً ، وقال فى هدوء :

ـــ حاول أن تستعين بعدد مناسب من زملائك يا رجل ، فلقد أصيبت ماسورة كبيرة فى أسفل بعدة ثقوب ، والمياه تتدفَّق منها فى غزارة داخل الشبكة .

ثم تابع سيره فى هدوء ، والرجل يتطلَّع إليه مبهوتًا مشدوهًا ، ولم يلبث هذا المشهد أن جذب انتباه المارَّة جميعًا ، فوقفوا يتطلَّعون فى دهشة إلى ذلك الرجل ، الذى غمرته المياه القذرة ، وهو يحمل على كتفيه آخر ، ويجتاز به شوارع المدينة ..

ولم يدرك أحدهم أن هذا هو مشهد النهاية ..

نهاية لُعبة الإرهاب ..

* * *

استرخى (ممدوح) فى مقعده ، داخل الطائرة التى تقلّه ، من (باريس) إلى (القاهرة) ، وهو يطالع أخبار الفضيحة

الدولية ، التى نجمت عن كشف الدور القذر ، الذى لعبته (أسترتان) فى ارتكاب حوادث الإرهاب ، التى روَّعت (أوربا) فى الشهور الأخيرة ، وإلصاق التُّهمة بالعرب والمصريين ..

ولقد أفصحت الأوراق والوثائق ، التى حَوَتها حقيبة (رامون) ، والتى قدَّمها (ممدوح) إلى المسئولين الفرنسيين عن الكثير ، وكذلك الحقائق التى أسفر عنها التحقيق مع (دانيال رامون) ، ضابط المخابرات الأسترتانية ، عن تورُّط هذا الجهاز فى تخطيط وتنفيذ هذه الجرائم البشعة ، بأوامر من سلطات عليا فى (أسترتان) ..

وكان هناك خبر آخر عن اجتماع مجموعة الدول الأوربية ، وعلى رأسها (فرنسا) ؛ لاتخاذ موقف صارم وموحَّد ضد هذه الدولة ، التى تسعى لتحقيق مآربها بالعنف والإرهاب ، ولتوجيه اعتذار رسمى للحكومة المصرية ، وبعض الحكومات العربية ، بعد أن تأكَّدت براءتها من عملية الإرهاب ..

وخبر ثالث عن الجهد الكبير ، الذى بذله ضابط مصرى ، من جهاز أمن مصرى ، يعرف باسم المكتب رقم (١٩) ؛ لكشف تورُّط هذه الدولة ، ومسئوليتها عن حوادث الإرهاب ..

وكيف أن هذا الضابط المصرى قد أصرَّ على عدم ذكر اسمه ، أو أى شىء يشير إلى شخصيته ، على الرغم من الدَّوْر البطولىّ الذى قام به ، لرفع الستار عن تلك المؤامرة الحقيرة .

وطوَى (ممدوح) الصحيفة فى ارتياح وأرجع مسند مقعده إلى الخلف ، وأسند رأسه إليه فى استرخاء ، وهو يمد قدميه أمامه ، وجاءت مضيفة الطائرة لتقدِّم إليه صحفة الطعام ، فتثاءب فى تكاسل ، وهو يعتذر مغمغمًا :

ـــ إننى أحتاج إلى النوم ، أكثر مما أحتاج إلى الطعام .

ابتسمت المضيفة فى لطف ورقَّة ، وقدَّمت الصحفة لرفيق مقعده .. ولم تكد المضيفة تنصرف ، حتى فوجئ (ممدوح) برفيق مقعده يلتفت إليه بغتة ، ويبتسم ابتسامة مخيفة ، ثم يلصق فوَّهة مسدَّس بجانبه ، وهو يقول فى صوت حادّ النَّبرات :

ـــ كان ينبغى أن تتناول وجبتك الأخيرة أيها المقدِّم ، فهكذا جرت العادة ، قبل أن يتم حكم الإعدام .

هتف (ممدوح) فى جزع :

ـــ مستحيل !!.. (كانيبال) ثالث ؟!.. لقد أودعت أخوين منهم فى السجن ..

ضحك الرجل على نحو عجيب ، وهو يقول .

ـــ أنا الأخ الثالث ، فنحن ثلاثة توائم ، ولقد آليت على نفسى أن أنتقم منك .. استعد للموت أيها المقدِّم ..

صرخ (ممدوح) فى قوة :

ـــ لا ..

ثم أمسك معصم خصمه فى قوة ، ودفعه نحو مقعده ، محاولًا إجباره على ترك مسدَّسه ، وتردَّد فى أذنيه صوت عميق ، يقول فى رنين أجوف بعيد :

ـــ استيقظ .. استيقظ .

وفجأة .. استيقظ (ممدوح) ، وفوجئ بنفسه يقبض على معصم رفيق مقعده ، الذى يمسك ملعقة صغيرة ، ويتطلَّع إليه فى ذُعر ، وفى اللحظة التى استيقظ فيها (ممدوح) ، سقطت الملعقة من يد الرجل وتناثر الطعام فوق ثيابه ، فنقَّل الراكب بصره بين كل هذا ، ووجه (ممدوح) فى ذُعر ، فشعر (ممدوح) بحرج شديد ، وهو يغمغم فى ارتباك :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. تقبَّل أسفى الشديد .. يبدو أن الإرهاق الشديد ، الذى يملأ كيانى ، قد دفع بكابوس بشع إلى عقلى و ....

وفجأة .. قفزت ضحكة إلى شفتيه ، قبل أن يتم عبارته ، فانطلق يضحك على نحو أثار دهشة رفيق مقعده ، واستنكاره ، فغادر مقعده فى حركة حادَّة ، ورمق (ممدوح) بنظرة ازدراء ، قبل أن ينتقل إلى مقعد آخر بعيد ، ولم تكد نوبة الضحك المفاجئة تهدأ فى أعماق (ممدوح) ، حتى ابتسم ، وهزَّ كتفيه وهو يقول :

ـــ لا بأس .. يمكن إضافة ذلك إلى متاعب المهنة ..

وعاودته نوبة الضحك مرَّة أخرى ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المؤلف



ا . شريف شوقى

لعبة الإرهاب

لذا فقد اندفع (ممدوح) من مكمنه فجأة ، وقفز كالقذيفة ، وساقه تمتد أمامه ، مسددًا ركلة قوية ساحقة إلى وجه الإرهابى ، الذى أخذته المفاجأة ، وقوة الضربة ، فدار حول نفسه ، ثم سقط أرضا .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

٣٢

العدد القادم الكنز المفقود

الثمن فى
مصـ
وما
دولا
امريكيا
فى سائر
الدول
العربية
والعالـ